

# المنشآت الخيرية والاجتماعية للسلطين والأمراء

## الأتراك بالحرمين الشريفين

### (في العصر المملوكي)

دكتور محمود أحمد محمد قمر

كلية الآداب \_ جامعة الزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

#### مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الوجود ملكه، والكون كله طوع إرادته، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ونصلي ونسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم لأولوة الخلق وجوهرته، كان ميلاده صلى الله عليه وسلم بسمه من بسمات الجمال والكمال، رحمة أطلت على العالم بأسره فجاء (رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)<sup>(١)</sup>.

إن غاية الإسلام هي تربية الإنسان المؤمن على حب الله ونفع الآخرين، وتنظيم العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي على هدى من الرحمة والحكمة والعدالة، وهذه الغاية هي التي تمثل القوة المحركة للحضارة الإنسانية، فترقى الحياة نحو التطور والازدهار والتكامل.

والحضارة الإسلامية التي نبعت من روح الإسلام، هي حضارة إنسانية سامية وراقية تهدف في المقام الأول إلى خير الإنسان وسعادته، إلى جانب أنها حضارة قيم وفضائل وأخلاق، وقد حملت الحضارة الإسلامية -وما زالت- معاني الحب والخير والسعادة للإنسانية جمعاء، كما تحمل بين طياتها ظلال الرحمة والشفقة والقيم والأخلاق، وقد اكتظت الحضارة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها بالعديد من المؤسسات الخيرية والاجتماعية ذات الوظائف المتبادلة والأهداف المختلفة، وكل ذلك من أجل خير الإنسان وسعادته، وتوفير أسباب الراحة النفسية والعقلية والجسمية له، والعمل على إزالة مسحة الكآبة من نفوس بعض البشر، والقيام بأجل الخدمات وأفضلها للمجتمع الإنساني عامة، مثل رعاية الضعيف، وإغاثة الملهوف والمحتاج، وعلاج المرضى، والعناية بالفقراء والمنقطعين.. إلخ، مما يحقق مجتمعاً سليماً قادراً على أن يعمل وينتج من أجل خير الدين والدنيا.

وهنا أطرح لدراسة تغمر القلب بالرضى لمكة المكرمة التي يتعطر بها اللسان، وتغرد لها الأقلام، ويتزعم لها البيان، ويسجل لها الزمان، ويدون لها التاريخ<sup>(٢)</sup>، وطيبة الطيبة<sup>(٣)</sup> التي استنارت بنور محمد صلى الله عليه وسلم، ففي المدينة المنورة لنا فيها مشاعر

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

وخواطر تهمز الجبال والأرواح وتداوي الجراح، دار هجرة أفضل نبي وأكرم رسول، ومهد الثقافة ومنهل المعرفة قام محمد صلى الله عليه وسلم يعلم الدنيا كلها كيف يكون طلب العلم فكانت أول جامعة في الإسلام تنبثق من بين أحضانها، وفي رحابها يكون لنا وقفة مع الزمان والمكان، وهي كما قال البعض عنها صحراء جرداء ولكنها تستهوي الخيال وتأسر القلب.

ولهذا تحافت ملوك وسلاطين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على شرف تقديم أشرف الخدمات وأجلها لأعظم بقاع الأرض أنساً وتقديساً، وبالذات لبلد الله الأمين وحرمة الأمن، وطيبة الطيبة، فكم تاقّت نفوس الملوك والسلاطين لخدمة الحرمين الشريفين، وكم بذلوا الغالي والنفيس من أجل مقدسات المسلمين ليفوزوا بخير الثواب في الدنيا والآخرة.

وقد اخترت عنواناً لتلك الدراسة وهو (المنشآت الخيرية والاجتماعية للسلاطين والأمراء الأتراك بالحرمين الشريفين في العصر المملوكي)، وسوف تقتصر الدراسة هنا على قيام السلاطين والأمراء من الأتراك ودورهم الحضاري في إقامة المنشآت الخيرية والاجتماعية ببلاد الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، وقد قسمت تلك الدراسة إلى مقدمة وخاتمة وعدد من المباحث والملاحق والصور التي تدور جميعها حول كشف العديد من الجوانب المجهولة الخاصة بمهؤلاء الأتراك الذين تولوا خدمة الحرمين الشريفين.

## المبحث الأول: المنشآت الخيرية العلمية بالحرمين الشريفين:

فقد اهتم سلاطين المماليك والأمراء من الأتراك بالناحية العلمية بالحرمين الشريفين، فقاموا بإنشاء المدارس والأربطة والكتاتيب وغيرها من المؤسسات الخيرية العلمية بمكة والمدينة، كذلك الاهتمام بالعلماء، ووقف الأوقاف للصرف منها على طلاب العلم والعلماء والمدارس والأربطة.

## المبحث الثاني: المنشآت الخيرية الاجتماعية بالحرمين الشريفين:

اهتم سلاطين المماليك بالمنشآت الخيرية الاجتماعية بالحرمين الشريفين، ومن بين تلك المنشآت السقايات والأسبلّة وعيون المياه والآبار وبرك المياه، والحمامات والمياضي (أو المطاهر)، والبيمارستانات وغيرها.

(٢) الزهراني: ناصر بن مسفر: ملحمة مكة المكرمة، الطبعة الأولى، الأمانة العامة لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٧.

(٣) من أسماء المدينة المنورة أرض الله، أرض الهجرة، الإيمان، البارة، بيت الرسول، الجنة، الحبيبة، الحرم، حرم رسول الله، الخيرة، دار الأبرار، دار الأخيار، دار الإيمان، دار السنة، دار الهجرة، الشافية، طابة، طيبة، العذراء، قبة الإسلام، قرية الأنصار، قلب الإيمان، المؤمنة، المباركة، المحبة، المحبوبة، المحروسة، المحفوظة، المختارة، مدخل صدق، المدينة، مدينة الرسول، المرحومة، المرزوقة، المسكنة، المسلمة، مضجع الرسول، المطيبة، المقدسة، مهاجر الرسول، السهمودي: نور الدين علي بن أحمد: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج ١، الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت - لبنان سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٨ - ٢٧، ياقوت: شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، الطبعة الأولى، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندبي، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٩٨، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ج ١، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكني، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ٢٥ - ٦٢، الخوارزمي: محمد بن إسحاق: إثارة التريغ والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق، ج ٢، الطبعة الثانية، مكة المكرمة سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٣٠١، ابن زبالة: محمد بن الحسن: أخبار المدينة، الطبعة الأولى، تحقيق: صلاح عبد العزيز زين سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ١٨٤ - ١٨٧، ابن النجار: أبي عبد الله محمد بن محمود البغدادي: تاريخ المدينة المنورة (المسمى الدرة الثمينة في أخبار المدينة)، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ٥١ - ٥٦.

## المبحث الثالث: الخدمات المدنية والعامة للترك بالحرمين الشريفين:

اهتم سلاطين المماليك والأمراء من الأتراك بتقديم الخدمات المدنية والعامة للحرم المكي، والحرم النبي الشريف، مثل وقف الخدام (الأغوات) لخدمة الحرمين الشريفين، وتقديم الجرايات والصدقات لأهل الحرمين الشريفين سواء للعلماء أو الفقهاء أو القضاة أو الأئمة والخطباء، وخدام المسجد الحرام، والفقراء وعامة الناس بالحرمين الشريفين.

وفي النهاية أتوجه بالشكر إلى كل الذين يزرعون حدائق العلم والنور في تلك الرحاب الإسلامية المقدسة، وعلى علماء الأمة العربية والإسلامية أن يحملوا على عاتقهم أمانة الخروج من أغلال الجهل والأمية إلى آفاق العلم والمعرفة، حتى نعيد من جديد للحضارة العربية والإسلامية وجهها المشرق لتصبح منارة الدين والدنيا كما كانت على مر الأيام والدهور.

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)<sup>(٤)</sup>

## المبحث الأول: المنشآت الخيرية العلمية للسلاطين والأمراء الأتراك بالحرمين الشريفين

اهتم سلاطين المماليك والأمراء من الأتراك بالناحية العلمية ببلاد الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، والقيام بأوجه الخير مثل إنشاء المؤسسات الدينية والمعاهد العلمية كالمدارس والأربطة والكتاتيب والمكتبات، وتخصيص بعض الخلوات (المساكن) لسكنى طلاب العلم والوافدين من الغرباء لتلقي العلم أو المجاورة لبيت الله الحرام والحرم النبوي الشريف، كذلك الاهتمام بالعلماء، ووقف الأوقاف التي كانت توقف لصرف منها على طلاب العلم والعلماء والمؤسسات الخيرية والاجتماعية<sup>(٥)</sup>.

### أولاً: المدارس:

كانت المدارس التي أقبل الخيرون من سلاطين المماليك وأمراءهم على إنشائها إحدى المؤسسات الخيرية والاجتماعية التي شهدت مكة المكرمة والمدينة المنورة في العصر المملوكي.

### ١- المدارس المملوكية بمكة المكرمة:

— مدرسة دار العجلة أو المدرسة الأرغونية: كانت هذه المدرسة تسمى بمدرسة دار العجلة القديمة<sup>(٦)</sup>، في الجانب الشمالي من المسجد الحرام، وتقع على يسار الداخل للمسجد من جهة باب العجلة، بناها الأمير أرغون النائب

(٤) سورة هود: آية ٨٨.

(٥) يعد السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٧-١٤٩٥م) من سلاطين المماليك الذين تركوا بصمات واضحة تتناسب مع قدسية الحرمين الشريفين في بلاد الحجاز، فيذكر النهروالي أن السلطان الأشرف قايتباي "كان ملكاً جليلاً وسلطاناً نبيلاً له اليد الطولى في الخيرات.. بنى عدة ربط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار.. وله بمصر والشام وغزة آثار جلية، وخيرات جميلة"، النهروالي: محمد بن أحمد بن محمد: الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، مكة المكرمة سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٢٤١.

(٦) يرجع تاريخ بناء دار العجلة إلى أيام عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وكانت تقع شمال المسجد الحرام، وسميت بدر العجلة لأن ابن الزبير قد عجل في بنائها فكانت تبني الليل والنهار حتى فرغ منها بسرعة، وقيل إن ابن الزبير قد استخدم العجل التي كان يحمل عليها الحجارة وتجرها البقر والجمال في بنائها، الدهاس: علي بن جنيدب: المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، الطبعة الأولى، دار القاهرة، القاهرة سنة ٢٠٠٦م، ص ٢٣.

الناصري<sup>(٧)</sup> قبل سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م أو بعدها بقليل للحنفية حيث اقتصر التدريس فيها على المذهب الحنفي<sup>(٨)</sup>، وقد استولى على تلك المدرسة أولاد راجح بن أبي نفي<sup>(٩)</sup>، ثم حل الخراب بها فرمها الشريف أبي منيف جار الله<sup>(١٠)</sup> في سنة ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م، وفتح لها باباً جديداً في جدار الحرم الملاصق لها، وعمل لها ستة شبابيك، ثم أهداها للسلطان المملوكي الملك الظاهر أبي سعيد برقوق<sup>(١١)</sup> (٧٨٤ - ٨٠١هـ / ١٣٨٢ - ١٣٩٨م) في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م، ومن قام بالتدريس في تلك المدرسة يوسف بن الحسين بن علي بن يوسف الملقب بالجمال (توفي سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م ودفن بالمعلاة بمكة المكرمة)<sup>(١٢)</sup>.

— المدرسة الأشرفية (مدرسة قايتباي بمكة المكرمة): عني السلطان الأشرف قايتباي<sup>(١٣)</sup> (٨٧٢ - ٩٠١هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٦م) بإنشاء العديد من الأعمال الخيرية والاجتماعية مثل بناء المدارس والأربطة والكتاتيب والسبل وغيرها من أوجه العمارة بال الحرمين الشريفين<sup>(١٤)</sup>، وبخصوص مدرسته بمكة المكرمة فقد أمر وكيله على العمارة والتجارة بمكة المكرمة الخواجه شمس الدين محمد بن عمر المعروف بابن الزمن<sup>(١٥)</sup> بالبحث عن منطقة تشرف على المسجد الحرام ليعني للسلطان مدرسة له لتدريس المذاهب الأربعة، فقام الوكيل باستبدال بعض الأربطة<sup>(١٦)</sup> في المنطقة ما بين باب السلام

(٧) الفاسي: تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد: الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: أديب محمد الغزالي، الطبعة الأولى، بيروت سنة ٢٠٠٠م، ص ١٤٩، حاشية رقم (١)، بدرشيني: أحمد هاشم أحمد: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، مركز دراسات وبحوث المدينة المنورة، المدينة المنورة سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م، ص ١٢٨، وكان الأمير أرغون الناصري يعمل نائباً للسلطنة بمصر عند السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ذهب إلى الحج عدة مرات، وكان يكتب خطاً حسناً، وله إلمام بالعلم محباً لأهل العلم محسناً إليهم، وكان يقوم بالفتوى والتدريس، توفي بجلب سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م، الفاسي: نفس المصدر، ص ١٤٩، حاشية رقم (١)، وهناك من يرى أنه توفي في سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م، بيومي: محمد علي فهمي: دور مصر في الحياة العلمية في بلاد الحجاز إبان العصر العثماني (٩٢٣ - ١٢٢٠هـ / ١٥١٧ - ١٨٠٥م)، دار القاهرة، القاهرة سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م، ص ٥، حاشية رقم (٥).

(٨) الفاسي: الزهور المقتطفة، ص ١٤٨ - ١٤٩، الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج ١، الطبعة الأولى، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٥٢٣.

(٩) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٢٣، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج ٣، الطبعة الثانية، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٨٣.

(١٠) هو الشريف أبي منيف جار الله بن حمزة بن راجح بن أبي نفي رمم هذه المدرسة وعمرها، قتل بمصر سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م، الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٦٩.

(١١) هو الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن أنص العثماني اشتراه يلبغا الخاصكي ثم اعتقه، وظل يترقى حتى تولى السلطنة في مصر، سمي برقوقاً لجحوظ عينيه، تولى السلطنة سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٣م، وتوفي سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م، الطبري: علي بن عبد القادر: الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، الطبعة الأولى، مكة المكرمة سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٢٢٧.

(١٢) بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، ص ١٢٨ - ١٢٩، الدهاس: المدارس في مكة، ص ٥٩.

(١٣) هو السلطان قايتباي هو السلطان الأشرف قايتباي الجركسي المحمودي الظاهري، ولد سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م، ودخل مصر سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م، أصبح من ممالك السلطان الأشرف برسباي، بويع له بالسلطنة في شهر رجب سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م إلى أن توفي في شهر ذي القعدة سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م وله من العمر ٧٥ سنة، وله العديد من المنشآت العلمية في كل من مصر والشام وبلاد الحجاز، الملطي: عبد الباسط بن شاهين: نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق: محمد كمال عز الدين، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١٤٥ - ١٤٦، الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٧٩.

(١٤) يقول عنه النهروالي (كان واسطة عقود الممالك الجراكسة وأقرهم إلى قلوب الرعية.. وأجلهم جملة وإجمالاً، وأحسنهم إحساناً، وأفضلهم إفضالاً، وأملهم عقلاً ونبلاً واعتدالاً، وأكثرهم في جهات الخيرات إثارة، وأكثرهم عمائراً وأوقافاً ودوراً، كانت أيامه كالطراز الذهب، ودولته تتجلى كالعروس في حلل الجواهر والذهب)، الأعلام، ص ٢٥٣.

(١٥) هو الخواجه شمس الدين محمد بن عمر المشهور بابن الزمن (٨٢٤ - ٨٩٧هـ / ١٤٢١ - ١٤٩١م) وكان السلطان قايتباي قد جعله وكيلاً له على التجارة ومشرفاً للعمائر في مكة المكرمة والمدينة المنورة أرسله إلى مكة المكرمة للتجارة له والقيام ببعض العمارة ببلاد الحرمين الشريفين، النهروالي: الأعلام، ص ١٤٠، باسلامه: حسين عبد الله: تاريخ عمارة المسجد الحرام، الطبعة الرابعة، جدة - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ص ٧٥.

(١٦) منها رباط المراغي نسبة إلى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المراغي (ت ٥٩٠هـ / ١١٩٣م) أوقف هذا الرباط في سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م، ورباط السدرة (عرف بعد ذلك برباط الأشرف قايتباي)، النهروالي: الأعلام، ص ٢٣١، ٢٤٣، الطبري: محمد بن علي بن فضل: تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية

وباب النبي، كما اشترى داراً من الشريفة (شمسية من شريفات بني حسن)<sup>(١٧)</sup>، وتم بناء مدرسة قايتباي واتخذ لها منفذاً على المسجد الحرام سمي باب قايتباي، كما بنى فوقها منارة سميت باسمه<sup>(١٨)</sup>، وقد بنى تلك المدرسة بالرخام الملون وسقفها بالذهب، وفرغ سنقر الجمالي من بناء تلك المدرسة سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م<sup>(١٩)</sup>.

وقد وضع السلطان الأشرف قايتباي نظام الدراسة في تلك المدرسة فجعل لها أربعة من المدرسين يدرس كل واحد منهم مذهب معين من المذاهب الأربعة<sup>(٢٠)</sup>، ومن قاموا بالتدريس في المدرسة الأشرفية بمكة المكرمة برهان الدين إبراهيم إبراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي المذهب<sup>(٢١)</sup>، وقد خصص الأشرف قايتباي مرتبات لهؤلاء المدرسين وللطلبة وللمؤذنين وقراء الحديث مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة، وسد حاجاتهم من القمح، وأوقف لذلك بعض الدور في مكة وبعض القرى والضياع في مصر لتنفق من غلتها على المدرسة، وكانت هذه الأوقاف تغل في كل عام ألفي دينار من الذهب، وكانت غلات الضياع تحمل إلى مكة للإنفاق عليها، وظلت تلك المدرسة تؤدي دورها حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي<sup>(٢٢)</sup>، وقد آلت المدرسة للسقوط في العهد العثماني وصارت منزلاً لأمرء الحج الذين يزورون مكة أثناء موسم الحج وسكناً لغيرهم من الأمراء الذين يصلون إلى مكة المكرمة أثناء السنة<sup>(٢٣)</sup>.

— **المدرسة الباسطية بمكة المكرمة:** تنسب هذه المدرسة إلى زين الدين عبد الباسط<sup>(٢٤)</sup> ناظر الجيش أيام السلطان المملوكي الأشرف برسباي (٨٢٥ - ٨٤١هـ / ١٤٢٢ - ١٤٣٧م) التي بناها سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م بجوار باب

بني الحسن، ج ١، الطبعة الأولى، تحقيق: محسن محمد حسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة سنة ١٩٩٦م، ص ٢٧٦، حاشية رقم (٢٠١)، بإسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٧٥، ص ٢٦٥.

(١٧) هي الشريفة شمسية بنت حسن بن عجلان تزوجها الشريف علي بن محمد ثم طلقها.. كانت ذات حشمة ووقار ورئاسة، (توفيت بمكة المكرمة سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م)، وكانت تلك الدار هي التي اشتراها الخليفة العباسي محمد المهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥م) من قبل لتوسعة المسجد الحرام وجعلها رجة بين المسجد الحرام وشارع المسعى، ثم طلبها جعفر بن يحيى البرمكي من الخليفة العباسي هارون الرشيد وبنى بها داراً عظيمة وظلت تتداولها الأيدي حتى صارت للسلطان المملوكي قايتباي، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٧٦، حاشية رقم (٢٠٢)، بإسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٧٥.

(١٨) الأزرق: أبي الوليد محمد بن عبد الله: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ٢، الطبعة العاشرة، تحقيق: رشدي الصالح ملحق، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٨٨، ويرى بإسلامه أنه كان لتلك المدرسة باب من المسجد الحرام إلى شارع المسعى يعرف باب مدرسة السلطان قايتباي، وقد كتب على هذا الباب من جهة شارع المسعى بالخط البارز على الحجارة عبارة (مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي) وأسفل تلك الكتابة جعلت دائرتين إحداها في اليمين كتب فيها (اللهم أنصره وأعزه) والثانية تقع إلى اليسار كتب فيها (وافتح له فتحاً ميبناً)، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٧٥، ص ١١٥ - ١١٦.

(١٩) النهروالي: الأعلام، ص ٢٤٤، العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والمتوالي، ج ٤، المطبعة السلفية، القاهرة سنة ١٣٨٠هـ، ص ٤٤، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٧٦ - ٢٧٨، ويرى البعض أنه قد فرغ من بنائها سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م، الدهاس: المدارس في مكة، ص ١٤.

(٢٠) الطبري: الأرج المسكي، ص ٨١، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٧٦، الجابري: خالد محسن: الحياة العلمية في الحجاز في العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة سنة ٢٠٠٥م، ص ١٢٣.

(٢١) الدهاس: المدارس في مكة، ص ٢٦.

(٢٢) ابن فهد: جار الله: نيل المني بذيول بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري، ج ١، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة سنة ٢٠٠٠م، ص ٣٣، ٤١ - ٤٤.

(٢٣) النهروالي: الأعلام، ص ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٤، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٧٧، بإسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٧٦، السباعي: أحمد: تاريخ مكة، ج ١، الطبعة السابعة، مكة المكرمة سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٢٤) هو زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم بن يعقوب الدمشقي، ناظر الجيش وقد عظم أمره أثناء حكم السلطان المملوكي الأشرف برسباي حيث تولى نظارة الخزائن والكسوة والجيوش والكتابة عند السلطان وابتنى العديد من المدارس في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس وغزة والقاهرة، وقد عرفت جميعها بالمدارس الباسطية، ونفي إلى بلاد الحجاز بعياله سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م، ثم عاد إلى القاهرة وظل بها إلى أن توفي سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م، ابن إياس: أبو البركات محمد بن أحمد:

الباسطية المنسوب إليه في الناحية الشمالية من المسجد الحرام على يسار الداخل للمسجد، وكان زين الدين عبد الباسط قد أمر الأستاذار<sup>(٢٥)</sup> ركن الدين عمر الشامي بأن يقيم بمكة المكرمة للإشراف على عمارة تلك المدرسة فأنتهى من عمارتها سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م، وقد أوقفها ناظر الجيش للفقراء وكانت في غاية الإحكام والإتقان، وكانت شبابيك تلك المدرسة تشرف على المسجد الحرام، وكان لها سبيل يقع بجوار المدرسة وحفر لها بئراً، وقد أوقف على تلك المدرسة بعض الأوقاف بمصر، وكان ينزل بها الأعيان والحجاج الواردون إلى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي<sup>(٢٦)</sup>، وقد سكنها ودرس فيها مجموعة من العلماء المجاورين، وكانت تقوم بتدريس العلوم الشرعية والعربية وتجويد الخط<sup>(٢٧)</sup>، وقد زودت تلك المدرسة بمساكن للطلاب، فقد خصص الدور الأرضي لحلقات الدرس بينما الدور العلوي كان به خلاوي يسكنها الفقراء ربما من الطلبة أو من غيرهم<sup>(٢٨)</sup>، وممن تولى مشيخة المدرسة الباسطية في مكة المكرمة عمر بن محمد الشيبني سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م<sup>(٢٩)</sup>، ويوسف بن عبد القادر بن محمد الحوراني الشافعي (توفي سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م) الذي تولى التدريس بتلك المدرسة<sup>(٣٠)</sup>، وقد ظلت تلك المدرسة تؤدي دورها حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وقيل إنها ظلت تؤدي دورها حتى بداية العهد السعودي عندما أزيلت مع عدد من المنشآت المعمارية بسبب توسعة المسجد الحرام<sup>(٣١)</sup>.

- **المدرسة العطيفية:** هذه المدرسة من بناء السيدة زينب الخاصكية<sup>(٣٢)</sup> عند زيارتها لمكة المكرمة سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م، وعرفت باسم المدرسة العطيفية ربما لقربها من دار عطيفة، وكانت سكناً لها عند زيارتها لمكة، ويبدو أنها كانت ملاصقة للمسجد الحرام حيث أن شبابيك قاعات المدرسة وبعض مرافقها كانت تطل على المسجد الحرام مباشرة<sup>(٣٣)</sup>.
- **مدرسة السلطان الغوري:** تنسب هذه المدرسة إلى السلطان المملوكي قنصوه الغوري<sup>(٣٤)</sup> (٩٠٦ - ٩٢٢هـ / ١٥٠٠ - ١٥١٦م)، وقيل إنها أقيمت سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م<sup>(٣٥)</sup>، ويرى البعض أن السلطان الغوري أمر وكيله على العمارة

بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٢، بولاق، القاهرة سنة ١٣١١هـ، ص ٢٨٥، السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ج ٤، القاهرة سنة ١٣٥٥هـ، ص ٢٤ - ٢٦.

(٢٥) الأستاذار: لفظ فارسي وهو الذي يتولى شؤون مسكن السلطان أو الأمير ومصروفاته وتنفيذ أوامره، القلقشندي: شهاب الدين أبي العباس: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٤، ص ٢٠، ج ٥، ص ٤٥٧، القاهرة سنة ١٣٣١هـ / ١٩٣١م.

(٢٦) ابن فهد: نجم الدين عمر: إتحاف الوري بأخبار أم القرى، ج ٤، الطبعة الأولى، تحقيق: كريم علي باز، جامعة أم القرى، مكة المكرمة سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٥٩، ٦٤، الجزيري: عبد القادر بن محمد: درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ج ١، طبعة دار اليمامة، الرياض - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٧٢٠، النهروالي: الأعلام، ص ٢٣٢، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٠٦، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ١٣٠.

(٢٧) عبد الباسط عبد الرازق بدر: الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، مجلة مركز دراسات المدينة المنورة، العدد الخامس، ربيع الثاني - جمادى الآخرة سنة ١٤٢٤هـ / يونيو - أغسطس سنة ٢٠٠٣م، المدينة المنورة، ص ٦٢.

(٢٨) الدهاس: المدارس في مكة، ص ٣٧.

(٢٩) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٢١، ولد عمر بن محمد الشيبني بعدن سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م، ونشأ بمكة المكرمة وحفظ القرآن الكريم وتفقه في علومه وتعلم على يد مجموعة من العلماء وتنقل بين الأمصار الإسلامية بين مصر والشام وزار بيت المقدس والمدينة المنورة، الدهاس: المدارس في مكة، ص ٥٢.

(٣٠) الدهاس: المدارس في مكة، ص ٥٢.

(٣١) ابن فهد: نيل المنى: ج ١، ص ٣٢٥، الدهاس: المدارس في مكة، ص ١٧.

(٣٢) هي زينب بنت العلاء علي بن العالم البدر محمد الحنفي المعروفة بابنة خاص بك (أو حامد بك) زوجة السلطان المملوكي الأشرف إينال العلائي الجركسي (٨٥٧ - ٨٦٥هـ / ١٤٥٣ - ١٤٦١م)، ووالدة السلطان المؤيد أحمد بن إينال (المحرم - رمضان سنة ٨٦٥ - ٨٦٥هـ / ١٤٦١ - ١٤٦١م)، السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٢، ص ٤٤، الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٢٤.

(٣٣) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٤، ص ٣٧٢، ٥٨٢، الدهاس: المدارس في مكة، ص ٢٤.

خاير بك العلائي بعمارة رباط ومدرسة له في مكة المكرمة في سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م<sup>(٣٦)</sup>، غير أن المؤرخين الحجازيين تجاهلوا الإشارة إلى تلك المدرسة أو حتى مآثر السلطان الغوري في الحجاز بسبب سوء سيرته في بلاد الحجاز وكثرة تدخلاته في شؤونه<sup>(٣٧)</sup>، وعدم إصغائه إلى كلام أهل الشرع والدين منهم، فكان كثير الدهاء، كثير الظلم والعسف، بخيلاً، على الرغم أنه كان محباً للعمارة، وله مآثر جميلة وعمارة حسنة جلييلة<sup>(٣٨)</sup>.

## ٢- المدارس المملوكية بالمدينة المنورة:

— المدرسة الأشرفية أو مدرسة قايتباي بالمدينة المنورة: في سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م قام السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢ - ٩٠١هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٦م) ببناء تلك المدرسة في المدينة المنورة ضمن عمارة المسجد النبوي الشريف بعد الحريق الذي أصابه في سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م، حيث أمر وكيله على العمارة شمس الدين ابن الزمن ببنائها في الجهة الغربية من المسجد النبوي بين باب السلام وباب الرحمة<sup>(٣٩)</sup>، وكانت تلك المدرسة على هيئة القاعة، ولها أربعة أواوين كلها بالحجارة المنحوتة، وفيها الخلوات الخاصة بالطلبة<sup>(٤٠)</sup>، وجعل تلك الخلوات شبائيك تطل على الحرم، وكانت لتلك المدرسة رباط، وسبيل لتوفير المياه، وقاعة عظيمة، وفرن، وطاحون، ومطبخ، ومنارة تلي باب الرحمة، وكانت مكونة من ثلاث طوابق إحداها كانت تحت الأرض (قبو)، وقد اشترى لها السلطان قايتباي أراضي بمصر جعلها وقفاً عليها وعلى أهل المدينة المنورة، وقد أجرى لمدرسته ماء العين الزرقاء لتوفير المياه إليها، وظلت تلك المدرسة إلى العهد العثماني إلى أن أزيلت في عهد التوسعة السعودية الأولى سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م، وقد تخرج من تلك المدرسة الكثيرون<sup>(٤١)</sup>، ويذكر أن المدرسة الأشرفية قد كمل بناؤها سنة ٨٨٩هـ / ١٤٩٣م فيما عدا ترسيمها بالرخام، وتم

(٣٤) هو السلطان الأشرف سيف الدين قنصوه الغوري نسب إلى منطقة الغور (بين هراة وغزنة وقاعدتها مدينة فيروزكوه مقر ملوك الغور بأفغانستان)، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٤، ص ٣٩٨، كان من ممالك الظاهر خشقدم ثم انتقل إلى الأشرف قايتباي، ببيع بالسلطنة في سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م، قتل عند حربه مع العثمانيين بموقعة مرج دابق بحلب سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م بعد خيانة بعض رجاله منهم مشيد عمائر خاير بك، الشوكاني: محمد بن علي: البدر الطالع بمن جاء بعد القرن السابع، ج ٢، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة سنة ١٩٤٨م، ص ٥٥، ابن زنبيل الرمال: واقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم العثماني، تحقيق: عبد المنعم عامر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٦٢م، ص ١٢ وما بعدها، الطبري: الأراج المسكي، ص ٢٨٤، الدقن: السيد: السلطان الأشرف طومان باي والمقاومة المصرية للغزو العثماني، الطبعة الثانية، القاهرة سنة ١٩٩٧م، ص ١٢.

(٣٥) الدهاس: المدارس في مكة، ص ٢٤.

(٣٦) أوليا جلي: الرحلة الحجازية (أو سياحنتامه)، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة سنة ١٩٩٩م، ص ٢٦٥، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، ص ١٤١.

(٣٧) الدهاس: المدارس في مكة، ص ٢٤.

(٣٨) النهروالي: الأعلام، ص ٢٥٦ - ٢٥٩.

(٣٩) النهروالي: الأعلام، ص ١٤٠، ٢٤٧، عبد الباسط بدر: الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٦٢.

(٤٠) بيومي: دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢١٧، المدير: عبد الرحمن: المدينة المنورة في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ٢٥٣.

(٤١) النهروالي: الأعلام، ص ١٤٠، ٢٤٧، السخاوي: محمد بن عبد الرحمن: التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ١، ص ٣٦، ج ٢، ص ٢٤٣، ج ٣، ص ٤١٠، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ج ٣، تحقيق: بشار عواد وعصام الحرساني وأحمد الحظيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ٩٤٢، السمهودي: وفاة الوفاء، ج ٢، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٨١ - ١٨٣، عبد الباسط بدر: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٦٢.

تسكين بعض خلاويها<sup>(٤٢)</sup>، وزودها الأشرف قايتباي بأحمال من كتب العلوم الشرعية الموقوفة عليها لطلبة العلم، كما حمل إليها أحمال من الحب والدقيق والقذور النحاسية اللازمة لإطعام المدرسين والطلبة، ومن الذين تولوا الإشراف على تلك المدرسة العالم السهمودي<sup>(٤٣)</sup>، الذي نال ثقة السلطان الأشرف قايتباي فولاه الإشراف على المدرسة، وعلى الأموال التي يوزعها بالمدينة المنورة<sup>(٤٤)</sup>.

— **المدرسة الباسطية:** بناها زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش أيام السلطان المملوكي الأشرف برسباي (٨٢٥ — ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ — ١٤٣٧ م) في المدينة المنورة، وقد ظلت تلك المدرسة تؤدي دورها حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي<sup>(٤٥)</sup>.

— **المدرسة الزمنية:** أنشأ هذه المدرسة المعمار ابن الزمن ناظر العمارة للسلطان الأشرف قايتباي بالمدينة المنورة، بناها غرب المدرسة الواسطية عند سوق المدينة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي<sup>(٤٦)</sup>.

وقد اشتهرت المدارس سواء أكانت في مكة المكرمة أو المدينة المنورة بأنها كانت مسكناً للعلماء والفقهاء والطلبة والمجاورين والوافدين والغرباء وغيرهم، الذين كانوا يعظمهم السلاطين والأمراء الأتراك ويحسنون الظن بهم<sup>(٤٧)</sup>، لتلك المدارس من يقوم بحراستها والقيام بأمرها<sup>(٤٨)</sup>، فعلى سبيل المثال نجد أن السلطان قايتباي عين لمدرسته في مكة المكرمة المدرسين، وحدد طلابها بأربعين طالباً، وخادماً للمكتبة، وقاضياً شافعياً كلفه بالمصحف الشريف، وداعياً، ومسجلاً للغياب، وقارئاً للقرآن، وفراشين، وبواباً، وحباراً، ووقاداً، وثلاثة مؤذنين، وعين للماء، وعشرة أيتام ومؤنثتهم، وناظرًا، ورتب للعاملين عليها ما يكفيهم<sup>(٤٩)</sup>.

### ثانياً: الأربطة:

تعد الأربطة<sup>(٥٠)</sup> من المنشآت الخيرية التعليمية والاجتماعية، ولهذا تحافت سلاطين المماليك وأمراءهم والأغنياء منهم في إقامة رباط أو عدة أربطة ببلاد الحرمين الشريفين وإيقاف الأوقاف عليها ابتغاء الأجر والمثوبة من الله، وكانت تلك الأربطة يتوافد

(٤٢) السخاوي: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ج ٣، ص ٩٤٨.

(٤٣) هو نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد بن علي الحسني السهمودي عاش في الفترة (٨٤٤ - ٩١١ هـ / ١٤٤٠ - ١٥٠٥ م)، ولد بقرية سمهود في صعيد مصر ونسب إليها، وبدأ تعليمه على يد والده وكان من أهل العلم فحفظ القرآن الكريم وحفظ بعض الحديث وقرأ في الفقه والتفسير، ثم سافر إلى القاهرة فأخذ العلم على يد بعض علمائها وفي سنة ٨٧٣ هـ / ١٤٣٣ م وصل إلى المدينة المنورة ولزم بعض علمائها ثم تصدر للإفتاء والتدريس بالمسجد النبوي الشريف وتولي الإشراف على بعض المدارس هناك مثل المدرسة المزهريّة والمدرسة الأشرفية، عبد الباسط بدر: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٧٨.

(٤٤) عبد الباسط بدر: الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٧٨.

(٤٥) المدرس: المدارس في مكة، ص ١٦.

(٤٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٦، السهمودي: وفاة الوفا، ج ٢، ص ٢٣٩، ٢٤٩.

(٤٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩٤، ١١١، ١٧٧، ٤٢٤، ج ٣، ص ٨ - ٩، ذكر ابن بطوطة (العديد من هؤلاء العلماء والفقهاء والمجاورين، انظر ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة، الطبعة الثالثة، تحقيق: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٤٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٧٠ - ٧١، ج ٣، ص ٧٠٦ - ٧٠٧.

(٤٩) بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، ص ٢٤٣.

(٥٠) الرباط هو ما يربط فيه الخيول، وهي كاللدور التي يسكنها أهل التصوف والمجاهدون، وتقام في مناطق الثغور للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية ثم اتخذت كأماكن للعبادة والزهد، وكانت يعقد بها دروس العلم والإملاء، ومجالس الإفتاء والقضاء، ابن ماكولا: الحافظ أبو نصر علي بن هبة الله: الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكني والأنساب، ج ٦، الطبعة الثانية، تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى العلمي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أبا دكن - الهند سنة ١٩٦٢ م - ١٩٦٧ م، ص ٢٩٥، السهروردي: شهاب الدين أبو حفص عمر: عوارف المعارف، ج ١، تعليق: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة سنة ١٩٧١ م، ص ٢٦٢، المقرئزي: الخطط المقرئزية، ج ٢، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص ٤٢٧، الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج ٤، الطبعة الأولى، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٨٣ م، ص ١٧٩.



عليها سواء الحجاج أو المجاورين من الشيوخ والعلماء والفقهاء وطلاب العلم والفقراء والغرباء والمساكين والمنقطعين<sup>(٥١)</sup>، وتصرف لهم لجرايات والنفقات، وتوفر لهم وسائل الراحة وتقديم أفضل الخدمات وسائر ما يلزمهم من المكتبات، والأسبلة والآبار والسقايات، والمطابخ، والمغاسل، والحمامات<sup>(٥٢)</sup>، وقد كثرت الأربطة في ذلك العصر بسبب زيادة السكان، واتساع الجانب العمراني، وتحسن الأوضاع الاقتصادية والمعيشية لدى الكثير من الناس، وتنافس الكثير في تقديم الأعمال الخيرية والاجتماعية لأهل الحرمين الشريفين، وكان يخصص بعضها للرجال وبعضها للنساء<sup>(٥٣)</sup>، مما جعلها تؤدي رسالتها التعليمية فكان بعضها يخصص للتدريس وأصبحت كمعاهد متخصصة تخرج علماء يتصدرون للفتيا والتدريس<sup>(٥٤)</sup>، ومن الناحية الاجتماعية تحولت بعض الأربطة إلى دور مستديمة للذين يستحقون الرعاية والاهتمام وخاصة لذوي الحاجات الخاصة وكبار السن والعميان وضعفاء المجتمع.

## ١ - الأربطة بمكة المكرمة:

عرفت مكة المكرمة العديد من الرباطات التي قام سلاطين الدولة المملوكية والأمراء منهم بإنشائها أو تجديد بعضها والتي كانت موجودة من قبل، ومن تلك الأربطة:

- رباط العباس: نسب هذا الرباط إلى العباس بن عبد المطلب، وكان في الأصل داراً له تقع بين الصفا والمروة<sup>(٥٥)</sup>، وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون جعلها رباطاً في سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م ليقطنه المجاورون في مكة المكرمة ولجوارته المسجد الحرام<sup>(٥٦)</sup>، وظل حتى العصر العثماني (٩٢٣ - ١٣٣٤هـ / ١٥١٧ - ١٩١٥م)، وكان له وقفاً في سوق الليل<sup>(٥٧)</sup>، وغلة ترد إليه من عشرين دكاناً موقوفة عليه، وعدد خلاويه ثلاثون خلوة<sup>(٥٨)</sup>.
- رباط خوند الكبرى (أو زينب الخاصكية) بمكة المكرمة: قامت خوند الكبرى (أو زينب الخاصكية بنت العلاء زوجة السلطان الأشرف إينال) ببناء رباطاً لها في مكة المكرمة، ومنشآت خيرية للفقراء والأرامل<sup>(٥٩)</sup>.
- رباط قايتباي بمكة المكرمة: أقامه السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢ - ٩٠١هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٦م) على أنقاض الميضاة التي أنشأها من قبل السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون<sup>(٦٠)</sup> بمكة المكرمة، وبنى مكانها رباطاً<sup>(٦١)</sup>، جعل

(٥١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٦١ - ١٦٢، ١٧٢، الكردي: محمد طاهر: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢، الطبعة الثالثة، مكتبة الأسد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ١٤٩.

(٥٢) الأربطة: مقال بموقع المدينة المنورة أون لاين (www. Alamadina 55. Com).

(٥٣) الكردي: التاريخ القويم، ج ٢، ص ١٤٩.

(٥٤) نبذة مختصرة عن الأربطة في المدينة المنورة، مقال بتاريخ ١٨ رجب سنة ١٤٢٤هـ / ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م [www.Rubat.com](http://www.Rubat.com)

(٥٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٢.

(٥٦) الفاسي: الزهور المقتطفة، ص ١٥٤، ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٢.

(٥٧) سوق الليل هو أحد الأحياء القديمة بمكة ويقع شرق المسجد الحرام، الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢، ص ١٧٦، وقد أزيل هذا الحي ودخل في توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي، شافعي: الأربطة بمكة المكرمة، ص ٣٠.

(٥٨) شافعي: الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٢٩ - ٣٠.

(٥٩) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٤، ص ٢٧٢، ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٢، ص ٣٤١.

(٦٠) أقيمت تلك الميضاة في مقابلة (باب علي) بحدها من الشرق بيوت الناس، ومن الغرب المسعى الشريف، ومن الجنوب مسيل وادي إبراهيم (الذي كان يقال له سوق الليل)، ومن الشمال دار العباس رضي الله عنه، النهروالي: الأعلام، ص ١٤٠.

(٦١) عبد اللطيف إبراهيم: وثائق الوقف على الأماكن المقدسة من أبحاث المؤتمر الدولي لتاريخ الجزيرة، الكتاب الأول، ج ٢، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية سنة ١٩٧٩م، ص ٢٥٣، عبد الرحمن عبد التواب: قايتباي المحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٧٨م، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

له بابان أحدهما ينفذ إلى المسجد الحرام، والثاني يؤدي إلى المسعى، وكان هذا الرباط يسكنه الفقراء، وألحق بتلك بالمدرسة والرباط سبيلاً وداراً وميضأة ومطبخاً، وجعل لذلك أوقافاً منها دوراً بمكة المكرمة ومزارع كثيرة بمصر للإنفاق عليها<sup>(٦٢)</sup>، وكان هذا الرباط يحوي ٧٢ خلوة للأيتام<sup>(٦٣)</sup>، وقد انتهى من بناء هذا الرباط بمعرفة الأمير سنقر الجمالي في سنة ١١٨٤هـ / ١٤٧٩م<sup>(٦٤)</sup>، وفي هذا الرباط كان يتم توزيع حب الصدقات<sup>(٦٥)</sup>.

- **رباط السلطان قنصوه الغوري:** هذا الرباط من بناء السلطان قنصوه الغوري (٩٠٦ - ٩٢٢هـ / ١٥٠٠ - ١٥١٦م)، وكان ضمن البيوت التي عند باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام في الجهة الغربية منه، وظل هذا الرباط موجوداً حتى سنة ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م، والبعض يذكر أنه عند باب الوداع أحد أبواب الحرم المكي، فقد أوكّل السلطان قنصوه الغوري المشرف على عمائر خاير بك بعمارته سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م<sup>(٦٦)</sup>.
- **رباط بيسق الظاهري:** بناه الأمير بيسق الظاهري التركي أمير الحاج المصري عوضاً عن رباط رامشت الذي احترق مع حريق المسجد الحرام في سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م وجعل هذا الرباط للفقراء<sup>(٦٧)</sup>.
- **رباط الباسطية:** كان هذا الرباط من بناء ناظر الجيش التركي زين الدين عبد الباسط في مكة المكرمة، وقد استمر هذا الرباط يؤدي رسالته العلمية والاجتماعية حتى سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م، حيث حصل انفجار بارودي نتج عنه وفيات وخراب كبير بالرباط، وكان لهذا الرباط أوقاف كثيرة بمكة المكرمة ومصر<sup>(٦٨)</sup>.

**٢- الأربطة بالمدينة المنورة:** عرفت المدينة المنورة بعض الأربطة التي أقيمت أو جددت في العصر - المملوكي بمعرفة السلاطين والأمراء من الأتراك والتي كان يأوي إليها العديد من الحجاج وبعض الزائرين من المسلمين للحج والعمرة، والمجاورين والغرباء وطلاب العلم، كما كان يأوي إليها العديد من الفقراء<sup>(٦٩)</sup>، وقد عمرت خزائنها ببعض الكتب الموقوفة عليها، وأوقفت بعض الأوقاف في بلاد الحجاز ومصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي للإنفاق عليها، ويرى السخاوي (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) أنه كان بالمدينة آنذاك ٣٤ رباطاً، ويرى السمهودي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) أن عددها ١٢ رباطاً<sup>(٧٠)</sup>، وقيل بلغت ٣٩ رباطاً<sup>(٧١)</sup>، ومن تلتط الأربطة:

(٦٢) الطبري: الأرج المسكي في التاريخ المكي، ص ٧٨، النهروالي: الأعلام، ص ١٤٠ - ١٤١، ٢٤٣.

(٦٣) النهروالي: الأعلام، ص ٢٤٣، بإسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٧٦، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٢٨.

(٦٤) النهروالي: الأعلام، ص ٢٤٣، ٢٤٤، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٧٨.

(٦٥) ظل هذا الرباط موجوداً حتى سنة ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م، شافعي: الأربطة بمكة في العهد العثماني، ص ٣٤.

(٦٦) شافعي: الأربطة بمكة في العهد العثماني، ص ٣٥ - ٣٦، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٤١.

(٦٧) هو الأمير بيسق الشيشي الظاهري أمير الحاج المصري سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م، توفي بالقدس سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م، ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج ١، تحقيق: محمد فهم شلتوت، الكتاب (٢١)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، بدون تاريخ، ص ٢١٠، السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ٣، مكتبة القدسي، القاهرة سنة ١٣٥٣هـ، ص ٢٢، وقيل إن سبب هذا الحريق خروج نار من رباط رامشت الواقع بين باب إبراهيم وباب الوداع في الجهة الغربية من المسجد الحرام ورامشت هو الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين الفارسي أوقف هذا الرباط على الصوفية في سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م، النهروالي: الأعلام، ص ٢١٥ - ٢١٦، ٢١٩، بإسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٦٩، ٧٣، ١٢٦، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٣١.

(٦٨) شافعي: الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٣٥ - ٣٦.

(٦٩) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٨٩، ج ٢، ص ٢٦٧، ج ٣، ص ٥٩٧، السمهودي: وفاء الوفا، ص ٢٣٢.

(٧٠) الأربطة: مقال على موقع المدينة المنورة أون لاين، [www.Alamadina55.com](http://www.Alamadina55.com)

- **رباط الأشرف قايتباي:** قام السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢ - ٩٠١ هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٦ م) ببناء المدرسة الأشرفية سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م في الجهة الغربية من المسجد النبوي الشريف بين باب السلام وباب الرحمة، وكان لتلك المدرسة رباط يتبعها<sup>(٧٢)</sup>، فقد أمر الأشرف قايتباي ناظر العمارة ابن الزمن بهدم المدرسة الجوبانية والمدرسة الغياثية وأقام مكانهما مدرسة ورباطاً وحماماً، وكتاب للأيتام، وتم الانتهاء من كل ذلك سنة ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م<sup>(٧٣)</sup>.
- **رباط ابن الزمن:** أنشأه الخواجه شمس الدين محمد بن عمر المعروف بابن الزمن المعمار بالمدينة المنورة بعد إصلاح العين الزرقاء، وبعد إصلاح سقف المسجد النبوي الشريف<sup>(٧٤)</sup>.

### ثالثاً: الكتاتيب:

تعد الكتاتيب من المؤسسات الخيرية التعليمية<sup>(٧٥)</sup>، والكتاتيب قديمة في نشأتها حيث تعود إلى زمن الفتوحات الإسلامية، فحينما كثرت تلك الفتوحات واعتنق الإسلام كثير من أهالي البلاد المفتوحة وكثر أولاد المسلمين، ولم يعد الآباء يستطيعون تعليم أولادهم القرآن الكريم، أو مبادئ القراءة والكتابة في البيوت، أو أن ينالوا ذلك في المساجد كما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٧٦)</sup>، فنشأ الكتاب تطوراً لتعليم الأولاد بمعرفة أهلهم، وقيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي أمر ببناء الكتاتيب، وعين المعلمين لتعليم الصبيان وتأديبهم<sup>(٧٧)</sup>، وجعل لهم في كل حي رجل يعلمهم القرآن الكريم، كما كتب لأمرأ الأمصار التابعين للدولة الإسلامية آنذاك بأن يفعلوا ذلك وينفقوا عليه من بيت المال، فكانت الكتاتيب من أول المؤسسات العلمية التي ظهرت في المدينة المنورة مع المسجد النبوي الشريف<sup>(٧٨)</sup>، ويعد ذلك أول ظهور للكتاتيب في الإسلام<sup>(٧٩)</sup>.

وكان الصبيان يتعلمون في الكتاتيب القرآن الكريم، ومبادئ الدين الحنيف، والقراءة والكتابة، واللغة العربية، والخط، والحساب<sup>(٨٠)</sup>، وفي ذلك يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه "كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نعلمهم السورة من القرآن"<sup>(٨١)</sup>، وكانت الكتاتيب يتعلم فيها الصبية شيئاً من القرآن الكريم، وشيئاً من الحديث النبوي الشريف،

(٧١) نبذة مختصرة عن الأربطة في المدينة المنورة، مقال بتاريخ ١٨ رجب سنة ١٤٢٤ هـ / ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣ م. [www.Rubat.com](http://www.Rubat.com)

(٧٢) النهروالي: الأعلام، ص ١٤٠، عبد الباسط بدر: الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٦٢.

(٧٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٦، السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٧٠٢، النابلسي: عبد الغني بن إسماعيل: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم: عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٨٦ م، ص ٣٣٥، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٢٤٣، حاشية (٢).

(٧٤) السخاوي: التحفة، ج ٣، ص ٦٩٦، بدرشيني: أثر الأوقاف على الحياة الدينية والاجتماعية في مكة والمدينة في العهد المملوكي، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، العدد (١٣)، ربيع الثاني جمادي الآخرة سنة ١٤٢٦ هـ / يونيو أغسطس سنة ٢٠٠٥ م، ص ٥٩.

(٧٥) Gibbe. J. Kramers: Shorter Encyclopedia of Islam, liden. 1974. P. 301.

(٧٦) أحمد شلي: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، الطبعة الثامنة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة سنة ١٩٨٧ م، ص ٥٤.

(٧٧) ذكر أن جبير بن حيوة كان معلماً أو مؤدباً في أحد مكاتب الطائف، العسقلاني: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر: الإصابة في الصحابة، ج ١، القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ، ص ٢٣٥.

(٧٨) عبد الباسط بدر: الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٦٦.

(٧٩) سعيد الديوه جي: التربية والتعليم في الإسلام، مكتبة التراث العربي، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ١٦.

(٨٠) أرشيد: يوسف أبو أرشيد: الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٣٩٦، صبح: محمد أحمد جاد، التربية الإسلامية دراسة مقارنة، ج ١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨، عبد الباسط بدر: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٦٦.

(٨١) علوان: عبد الله: تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، الطبعة الثالثة، دار السلام، القاهرة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ص ١٥٠.

وأوليات النحو والقراءة والكتابة، والضبط والشكل، والإملاء، وبعض الفضائل كتعليمهم الصلاة، واحترام الوالدين، والأخلاق، والبعد عن سيء الأفعال، وكان الطفل يلحق بالكتاب فيما بين الرابعة والسابعة من عمره، وقد امتهن العديد من العلماء هذه المهنة التي كانت تدر عليهم أرزاقاً كبيرة وحمل الكثير منهم لقب المؤدب<sup>(٨٢)</sup>.

وقد انتشرت الكتاتيب بالحرم المكي والمسجد النبوي الشريف، وكان الكثير من المعلمين والمدرسين بتلك الكتاتيب يتخذون من زوايا المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وأطرافها مكاناً لمكاتبهم، كما كانت بعض تلك الكتاتيب تلحق بالمدارس<sup>(٨٣)</sup>.

لعبت الكتاتيب التي أنشأها سلاطين المماليك دوراً في العملية التعليمية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، منها الكتاب الذي أنشأه السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢ - ٩٠١ هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٦ م) للأيتام في مكة المكرمة وكان يأوي ٤٠ طالباً من الأيتام، رتب لكل واحد من الأيتام وأهل الخلاوي (مسكن الطلاب) ما يكفيهم من القمح كل سنة<sup>(٨٤)</sup>، كما أنشأ كتاباً بالمدينة المنورة ظل موجوداً حتى العصر العثماني<sup>(٨٥)</sup>.

وكذلك أنشأ السلطان الأشرف قايتباي قرابة ٧٢ خلية<sup>(٨٦)</sup>، بجوار مدرسته التي أقامها في مكة المكرمة، وألحق بها العديد من الصبيان وكان يوفر لهم ما يكفيهم من حوائجهم طول العام من المدرسين والقمح والمال<sup>(٨٧)</sup>، وكانت تلك الخلاوي بمثابة مساكن يؤدي إليها طلاب العلم لاسيما وأن غالبيتهم كانوا من الفقراء والمنقطعين للعبادة والدراسة والمجاورة لبيت الله الحرام، وقد جاء تصميم تلك المدارس بأنها كانت تتكون من طابقين كان الأرضي منها لقاعات الدرس، والطابق الثاني لسكنى الطلاب حسب ما ينص عليه الوقف، وربما كانت تلك الغرف كانت على مستويات متباعدة من حيث التصميم والأثاث حيث خصص بعضها لنزول الأعيان والواردين للحج وغالباً ما كان ينزلها الأسر والسلاطين<sup>(٨٨)</sup>.

وكان بعض الأمراء والسلاطين ينزلون بتلك المدارس منهم السلطان قايتباي الذي نزل بمدرسته أثناء قيامه بالحج سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م، وظل بها وحاشيته وحرسه حتى خرج إلى عرفات، ولنا أن نتصور هذا النمط المعماري لمدرسته التي اتسعت لهذا العدد من المرافق والحاشية والحرس الخاص بالسلطان إضافة إلى ما كانت عليه من مستوى رفيع من البناء والأثاث الذي يليق بالسلطان وحاشيته<sup>(٨٩)</sup>.

(٨٢) ابن ماكولا: الإكمال، ج ٤، ص ٤٣٤، السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد: الأنساب، ج ١، الطبعة الأولى، تقديم: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت سنة ١٩٨٨ م، ص ١٦١، ومن هؤلاء محمد بن محمد بن ميمون الجزائري الذي كان يؤدب الأطفال، ومحمد بن أحمد السيني الذي كان في كتابه مائة متعلم، عبد الباسط بدر: الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٦٦.

(٨٣) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣١٤.

(٨٤) بإسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٧٦، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٣١.

(٨٥) بيومي: دور مصر في الحياة العلمية، ص ٢٠٢.

(٨٦) تعرف الخلاوي في بعض بلدان العالم الإسلامي لاسيما في العديد من بلاد افريقية على أنها كتاتيب.

(٨٧) النهروالي: الأعلام، ص ٢٤٣، الطبري: تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن، ص ٢٧٧.

(٨٨) الدهاس: المدارس، ص ٣٧.

(٨٩) الدهاس: المدارس، ص ٣٨.

## رابعاً: المكتبات:

رافق إنشاء المدارس تزويدها بما يحتاج إليه طلاب العلم من الكتب التي كانت تعد محور الدرس، وقد تتابع العطاء من القادرين حتى أصبحت هناك خزائن غنية بالكتب بما تحويه من صنوف العلم في أغلب المدارس<sup>(٩٠)</sup>، وكان العديد من المؤرخين يوقفون كتبهم لخزائن الكتب في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن هؤلاء المؤرخ السخاوي الذي أوصى عند وفاته (سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) بأن توقف كتبه وتوضع بمدرستي السلطان الأشرف قايتباي بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وأن يكون المؤرخ نور الدين علي السمهودي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، هو الناظر على وقفه<sup>(٩١)</sup>، وكان المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف آنذاك مركزين علميين من مراكز التعليم والتدريس، وجذباً إليهما طلاب العلم من أنحاء العالم الإسلامي، لذا اهتم العلماء والحكام والسلاطين والأمراء وغيرهم فأوقفت عليهما مجموعة ضخمة من الكتب ليستفيد منها طلاب العلم<sup>(٩٢)</sup>، ومن أهم هذه المكتبات:

١- مكتبة الأشرف قايتباي في مكة المكرمة: جعل السلطان الأشرف قايتباي لمدرسته التي أنشأها في مكة المكرمة بجوار المسجد الحرام خزانة للكتب (مكتبة) تحوي العديد من المؤلفات، وجعل لها خزانة عين له مبلغاً من المال، وقد وقفها على طلبة العلم الشريف، وأوقف عليها أوقافاً وقرى وضياعاً وحبوباً كثيرة بمصر تحمل في كل عام إلى مكة، غير أن تلك الخزانة عبثت بها أيدي المستعيرين بمرور الأيام، لاسيما في العهد العثماني، ويذكر النهروالي بأنه لم يبق من الكتب سوى ثلاثمائة مجلد قام هو بنفسه بصيانتها وجلد ما يحتاج منها وأعادها للوقف الذي كان عليه<sup>(٩٣)</sup>.

٢- مكتبة الأشرف قايتباي بالمدينة المنورة: جعل السلطان الأشرف قايتباي لمدرسته التي أقامها بالمدينة المنورة خزانة للكتب (مكتبة) موقوفة على طلبة العلم الشريف، وجعل لها خزانة عين له مبلغاً<sup>(٩٤)</sup> من المال، فيذكر أنه في سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م أرسل قايتباي من مصر أحمالاً من الكتب الشرعية<sup>(٩٥)</sup> إلى مدرسته بالمدينة المنورة، وقد ضاع أغلب تلك الكتب بعد أن استولى عليها المستعيرون والنظار<sup>(٩٦)</sup>، وقيل إن تلك المكتبة ضمت إلى خزانة الحرم النبوي الشريف<sup>(٩٧)</sup>.

٣- خزانة الكتب بالمسجد النبوي الشريف: اهتم السلطان المملوكي الأشرف قايتباي (٨٧٢- ٩٠١هـ/ ١٤٦٧- ١٤٩٥م) بخزانة الكتب الموجودة بالمسجد النبوي الشريف، فقد أرسل مصاحف وكتباً كثيرة لخزانة المسجد النبوي الشريف عوضاً عما احترق منها أثناء الحريق الذي شب بالمسجد في سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م<sup>(٩٨)</sup>.

(٩٠) الدهاس: المدارس، ٣١.

(٩١) النجم: عبد العزيز بن النجم بن فهد: بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى، ج ٢، تحقيق: صلاح الدين وآخرون دار القاهرة، مصر سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٠٠٤-١٠٠٥.

(٩٢) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٩٧.

(٩٣) الأعلام، ص ٢٤٣، ٢٤٤، باسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٧٦، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٢٩.

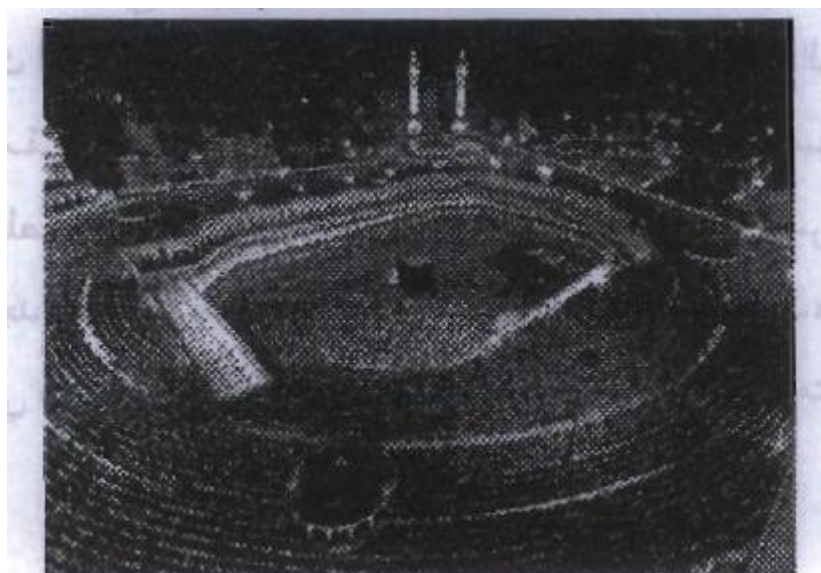
(٩٤) النهروالي: الأعلام، ص ٢٤٧، الطبري: تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن، ج ١، ص ٢٧٧.

(٩٥) يرى بدرشيني أن تلك المكتبة ضمت الكثير من الكتب في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وأوقاف الحرمين الشريفين، ص ٢٤٣.

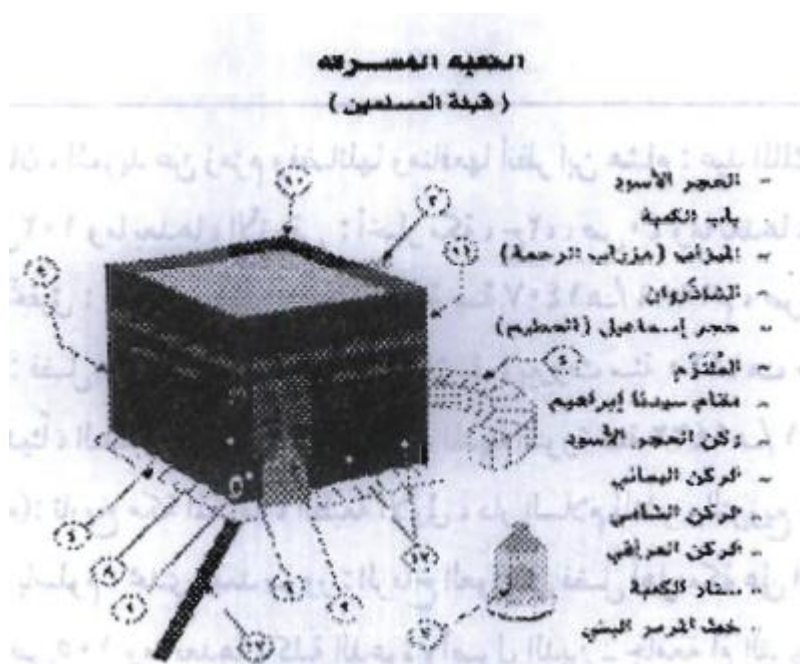
(٩٦) الطبري: تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن، ج ١، ص ٢٧٦.

(٩٧) السمهودي: وفاة الوفا، ج ٢، ص ١٨٣، الأعلام، ص ٢٤٣، ٢٤٤، باسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٧٦، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٢٩.

(٩٨) بيومي: دور مصر في الحياة العلمية، ص ٢٢٦.



الحرم المكي الشريف



## المبحث الثاني

### المنشآت الخيرية والاجتماعية للسلطين والأمراء الأتراك بالحرمين الشريفين

قام سلاطين المماليك وأمراؤهم بإنشاء العديد من المنشآت الخيرية والاجتماعية التي تعود بالنفع والخير على أهل الحرمين الشريفين وضيوف الرحمن أثناء أداء فريضة الحج والعمرة، ومن تلك المنشآت:

**أولاً: السقايات بالحرمين الشريفين:** تعد السقاية من ماء زمزم<sup>(٩٩)</sup> من الوظائف المهمة القديمة التي عرفت بالحرمين الشريفين<sup>(١٠٠)</sup>، وفي ذلك دلالة على أن أهل مكة المكرمة والقائمون على أمر البيت وعلى مر الفترات التاريخية كانوا يبذلون قصارى جهدهم في خدمة الحجيج وضيافتهم وسقايتهم وإكرامهم، واعتبرت مهنة السقاية أو مهنة الزمزمة (سقايا ماء زمزم للحجاج) من المهن التي أخذت تظهر قبل الإسلام وبعده<sup>(١٠١)</sup>، ولذلك اعتبرت فئة الزمازمة من الفئات التي أصبحت تلحق بالمطوفين، وأصبح الزمازمة يكونون طائفة مستقلة بذاتها ولهم شيخ (رئيس) ينصب عليهم من قبل أمير مكة المكرمة<sup>(١٠٢)</sup>، وكذلك الأمر في المدينة المنورة<sup>(١٠٣)</sup>، وتلك الطريقة ظهرت فئة الزمازمة وأصبح لهم رئيس وأنظمة وأعراف، ووظيفة هذه الفئة سقي الحجيج من ماء زمزم، وأحياناً إيصاله إلى بيوت بعضهم لمن يرغب في ذلك، وقد يوقف بعض الحجاج سجاجيدهم للصلاة ويتولى الزمزمي فرشها في أوقات الصلوات الخمس ويحفظها لديه، وقد يختار بعض الحجاج إجراء سبيل في المسجد الحرام من ماء زمزم فيتولى الزمزمي سقاؤه تهيئة لذلك، وكان الزمازمة يملؤون الدواق التي كانت على شكل مخروطي وتثبت على المرافق التي تصنع خصيصاً لها، وقد كانت منتشرة في أنحاء المسجد الحرام، ولكنها خلت بسبب كثرة الحجاج وازدحام المصلين<sup>(١٠٤)</sup>،

(٩٩) من أسماء زمزم سقيا الله لإسماعيل، بركة، سيدة، نافعة، صافية، بره، سالمة، عافية، مغذية، طاهرة، مروية، طيبة، شباغة العيال، شراب الأبرار، زمزم، وهي عين من عيون الجنة، ماؤها معين، خير ماء ونبع في أقدس بقعة على وجه الأرض، سيد الماء وأشرفها، وأجلها قدراً، وأحبها إلى النفوس، وأغلاها ثمناً وأنفسها عند الناس، وبه غسل قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم، طعام طعم وشفاء سقم وشفاء من كل داء، يذهب الصداع، والنظر فيه يجلو البصر، ويكسب الجسم قوة وشفاء ونماء، وهو يفوق المياه المعدنية في تركيباته وعناصره المعدنية، قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث ومنها "ماء زمزم لما شرب له"، وإذا شربها شخص يدعو ربه ويقول: اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء"، حتى روى البعض أن ماء زمزم يشفي من مرض السرطان، للمزيد عن زمزم وفوائدها ومنافعها انظر ابن هشام: عبد الملك المعافري: السيرة النبوية، ج ١، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٠٢ وما بعدها، الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٤٠ وما بعدها، الفاكهي: محمد بن العباس المكي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج ٢، تحقيق: عبد الله دهيش، مكة المكرمة سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٥ وما بعدها، الفاسي: الزهور المقتطفة، ص ١١٢ وما بعدها، سائد بكداش: فضل ماء زمزم، دار البشائر الإسلامية، بيروت سنة ١٤٢٠هـ، ص ٥١، ٨٣-١٧٩، عبد الغني: محمد إلياس: تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً، الطبعة الأولى، مطابع الرشيد، المدينة المنورة سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ٧٧-٧٩، المباركفوري: الشيخ صفى الرحمن (مع مجموعة من العلماء): تاريخ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٦٤-٦٥، باسلوم: مجدي محمد سرور: الرماح العوالي في فضل أهل مكة على المتعالي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ١٠٥ وما بعدها، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى: البلد الحرام فضائل وأحكام، الطبعة الأولى، دار علم الفوائد، مكة المكرمة سنة ١٤٢٤هـ، ص ٧١ وما بعدها.

(١٠٠) كانت السقاية في مكة المكرمة لقصى بن كلاب (جد النبي صلى الله عليه وسلم) ثم آلت إلى ابنه عبد مناف، لهاشم بن عبد مناف، ثم لعبد المطلب بن هاشم، ولما توفي عبد المطلب وليها ابنه العباس بن، فلم تزل إليه حتى جاء الإسلام فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها إليه، وكان العباس يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص لأهل بيته أن يبيتوا بمكة المكرمة ليالي منى من أجل شغلهم فيها، انظر: البخاري: أبي عبد الله بن محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، ج ١، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية، القاهرة، سنة ١٤٠٠هـ، (الحديث رقم ١٦٣٤) ص ١٠٥، ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ١٦٤، الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٦٥، عبد الباقي: محمود فؤاد: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، إماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، الطبعة الأولى، مكتبة دار، الرياض سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٣٥٠-٣٥١.

(١٠١) البار: أسامة بن فضل: تطور خدمات الحج في عهد خادم الحرمين الشريفين، مقال بموقع [www.ksu.edu.sa](http://www.ksu.edu.sa)

(١٠٢) رفيع: محمد عمر: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، الطبعة الأولى، دار مكة للطباعة، مكة المكرمة سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

(١٠٣) من بين الأفراد الذين ظهر اسمهم في تاريخ سقاية الحجيج وأسند إليهم مفتاح زمزم، ذرية الشيخ عبد السلام بن أبي بكر المعروفين الآن ببيت الرئيس منذ سنة ٦٣٠هـ /

١٢٣٢م، وكان لآل الرئيس مرسوم بذلك الأمر من أحد الخلفاء العباسيين وحتى سلاطين آل عثمان، وتاريخ هذا المرسوم كان في العشرين من شهر شوال سنة ٨٢٠هـ /

١٤١٧م، مغربي: محمد علي: أعلام الحجاز في القرن (١٤-١٥ هجري)، ج ٤، الطبعة الأولى، جدة، المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٤هـ، ص ١٢١-١٢٤.

(١٠٤) مغربي: أعلام الحجاز، ج ٤، ص ١٢٥.

وقد اهتم سلاطين المماليك الأتراك بعمارة السقايات في مكة المكرمة، فقد تم تحديد قبة سقاية العباس<sup>(١٠٥)</sup> في سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م بمعرفة الأمير بيسق التركي<sup>(١٠٦)</sup>.

أما السقاية<sup>(١٠٧)</sup> في المدينة المنورة فقد امتدت عناية سلاطين المماليك بأمور السقاية، وكان من مهامها تزويد الحرم النبوي الشريف بالماء اللازم للشرب من السقايات الموجودة داخل المسجد أو خارجه، وكان السقاءون يملأون الدوارق بالماء ويضعونها أمام المصلين، فهذا هو السلطان الأشرف شعبان بن حسن بن محمد حفيد الناصر محمد بن قلاوون (٧٦٤ - ٧٧٨هـ/ ١٣٦٢ - ١٣٧٦م) يقرر تعيين رجل ليسقي الماء العذب في كل يوم بالمسجد النبوي الشريف على عادة أمثاله، وجعل راتبه ستمائة درهم سنوياً بما فيها ثمن الماء العذب وثن الدوارق وأجرة تسبيل الماء بالحرم النبوي<sup>(١٠٨)</sup>.

كما قام سلاطين المماليك الأتراك والأمراء والأغنياء والأثرياء منهم بتوفير المياه والطعام لسائر المنشآت الخيرية والاجتماعية الموجودة بالمدينة المنورة، مثل المدارس والأربطة والبيمارستان، إذ كان يوفر للبيمارستان في المدينة المنورة سائر ما يلزمه وخاصة من المياه.

**ثانياً: الأسبلة:** عنى سلاطين المماليك الأتراك بتوفير المياه للحرمين الشريفين، فأقاموا الأسبلة<sup>(١٠٩)</sup> وصهاريج وأحواض المياه<sup>(١١٠)</sup>، ومن تلك الأسبلة:

**١- سبيل قايتباي:** قام السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢ - ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ - ١٤٩٦م) بإنشاء سبيلين في مكة المكرمة، أحدهما كان موجوداً في رباطه الذي أنشأه، والثاني كان يطل على المكان المعروف بسوق الحياطين<sup>(١١١)</sup>، كما ابنتى سبيلاً يملأ من صهريج كبير في صحن مسجد الخيف<sup>(١١٢)</sup> بنى عندما قام بتجديد بناء هذا المسجد في سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م<sup>(١١٣)</sup>.

(١٠٥) كان موضع سقاية العباس في الجهة الشرقية من المسجد الحرام خلف بئر زمزم وهي عبارة عن بيت يحيط به شبائيك من جهاته الأربع ما عدا الجهة الجنوبية وفي وسط هذا البيت بركة من ماء تملأ بالماء من زمزم بواسطة قناة ممتدة ما بين البئر والبركة، وكان يسقي العباس منها الحجيج، باسلامة: عمارة المسجد الحرام، ص ١٩٣ - ١٩٤.

(١٠٦) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ١٩٥.

(١٠٧) كان يوجد في المدينة المنورة مكان يقال له المسقاية بالقرب من مسجد الغمامة وكانت في قلب أسواق المدينة طولها ٨ متر وعرضها ٦ متر بما عدة أزيار كبيرة لتخزين الماء وحفظه، كان يجلب إليها الماء من عين بالقرب من مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بواسطة السقاء الذي كان يجلب الماء في قربة كبيرة ثم يضعها في الأزيار التي كان ييخر ماءها برائحة الأعشاب والنباتات الزكية، للمزيد عنها انظر الأنصاري: ناجي بن محمد حسن: المسقاية من مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة، الطبعة الأولى، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢١ وما بعدها.

(١٠٨) راشد القحطاني: راشد بن سعد، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - السعودية سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٢٢، بدرشيني: أثر الأوقاف على الحياة الدينية والاجتماعية في مكة والمدينة في العهد المملوكي، ص ٦٢ - ٦٣.

(١٠٩) السبل والسبيل كانت في المسجد النبوي الشريف عبارة عن مجموعة من الدوارق من الفخار توضع على طاولات (ترايزات) خشبية مصفحة بالشينكو والمفارش لحماية أرضية المسجد من البلل، وتملأ بالماء العذب ثم تبخر بالمصطكى أو يضاف إلى الماء قليلاً من ماء الكاذي أو ماء الورد أو ماء الزهر حتى يعطي للماء طعماً ومذاقاً جيلاً، وكانت تلك الدوارق توضع في أماكن يتخللها الهواء، وعندما تبرد يحملها السقاءون ويدورون بها على المصلين والمارة، الأنصاري: المسقاية، ص ٣٩.

(١١٠) كانت تلك الأحواض تعرف بالمهراس (نسبة للأحواض التي كانت تقام من الحجارة ويهرس فيها الحب)، إذ كانت تملأ بالماء المبخر ليرتوي منه الناس، الأنصاري: المسقاية، ص ٢٩ - ٣٥.

(١١١) الطبري: الأرج المسكي في التاريخ المكي، ص ٨٢.

(١١٢) مسجد الخيف نسبة إلى خيف بنى كنانة وهو بنى ويقع بين جبلين، وقيل إنه صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً، وقيل حج البيت خمسة وسبعون نبياً كلهم طاف بالبيت وصلى في بمسجد الخيف، وذكر البعض أن قبر آدم عليه السلام عند مصلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقع قرب المنارة (مأذنة) التي في وسط المسجد، وذكر



٢- سبيل السلطان الملك المؤيد شيخ: عمر هذا السبيل السلطان المملوكي المؤيد شيخ سنة ٨١٨هـ / ١٤١٥م، وكان بابه جهة باب الصفا بالمسجد الحرام، ليتنفع الناس بالشراب منه، وكان ذا عمارة حسنة<sup>(١١٤)</sup>.

٣- سبيل الست: وينسب هذا السبيل إلى شقيقة السلطان المملوكي الناصر حسن بن قلاوون قامت بعمارته سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م، وهذا السبيل كان مشهوراً في طريق منى<sup>(١١٥)</sup>.

٤- سبيل الزيني عبد الباسط: أنشأ هذا السبيل الزيني عبد الباسط ناظر الجيش للسلطان المملوكي الأشرف برسباني (٨٢٥-٨٤١هـ / ١٤٢٢-١٤٣٧م) في سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م بالمعلاة في مكة المكرمة على يمين النازل من الحجون، وقيل إنه بنى سبيلاً إلى جوار مدرسته التي بناها بمكة المكرمة<sup>(١١٦)</sup>.

### ثالثاً: العيون والآبار والبرك:

١- عيون المياه: قام السلاطين والأمراء الأتراك بتطهير وصيانة وترميم عيون المياه والآبار والبرك لتوفير المياه للحجيج ولأهل مكة المكرمة ومنطقة المشاعر المقدسة والمدينة المنورة، وكان لمكة عينان رئيسيتان تمدان مكة المكرمة بالمياه أحدهما عرفت (بعين عرفة)، والثانية (عين حنين أو عين بازان)<sup>(١١٧)</sup>، وكانت تلك العيون يكثر ماؤها أو يقل أو يجف حسب الأمطار، وكان سلاطين المماليك يرسلون من يقوم بإصلاحها وتعميرها، ففي سنة ٧٢٨هـ / ١٣٤٧م قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإصلاح مجرى عين بازان، كما أجرى عين جبل ثقبه (يلي جبل حراء) بمعرفة علي بن هلال المشرف على العمائر، وكان تكلفة ذلك حوالي ٥٠٠٠ درهم، وكذلك العين التي أجراها نائب السلطنة في مصر سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م، وسرى جريانها من منى إلى بركة السليم بمنى<sup>(١١٨)</sup>، وعين زبيدة<sup>(١١٩)</sup> التي كانت قد انقطعت من مكان يقال له نعمان إلى عرفات وأصبحت خربة، فأمر السلطان

أن أبا هريرة رضي الله عنه أنه قال: "لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت"، وخلف هذا المسجد الغار الذي نزلت فيه سورة " والمرسلات عرفات"، محب الدين الطبري: أبي العباس أحمد بن عبد الله: القرى لقاصد أم القرى، الطبعة الثالثة، دار الفكر، القاهرة سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٥٣٩. العاقولي: غياث الدين أبو المكارم: عرف الطب من أخبار مكة ومدينة الحبيب، الطبعة الأولى، تحقيق: صلاح الدين بن عباس، المدينة المنورة سنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ١٨٥-١٨٦، الخوارزمي: إثارة الرغبة، ج ١، ص ٢٣٦، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٧٢.

(١١٣) النهروالي: الأعلام، ص ٢٤٢، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٧٧، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٣٥.

(١١٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٤٠٣-٤٠٤.

(١١٥) الأزرق: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٦٠، الفاسي: الزهور المقتطفة، ص ١٥٧، شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٤٠.

(١١٦) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٣٩، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٠٦.

(١١٧) كانت تعرف قديماً بعين بازان (أو عين حنين) وهي من أعمال زبيدة بنت الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٣-٧٧٤م) وزوجة الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٨م) فقد صرفت على حفرها لتصل الماء من الجبال (قيل إن منبع العين كانت من جبل شامخ يقال له طاد، وكان لعين حنين بعض عيون المياه التي تمدها بالماء مثل عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين البرود وعين الطارقي وعين ثقبه والخريبات) إلى مكة المكرمة حوالي مليون وسبعمائة ألف مثقال من الذهب، ثم أمرت بإجراء عين نعمان (من جبل يقال له كرا الذي يشرف على الطائف) وعملت قناة لتصل الماء إلى عرفات، ومنها إلى المزدلفة، ومنها إلى منى، ومنها يصب الماء في بئر مبطن بالحجارة، وذكر أن تلك القناة كان عرضها من أعلى حوالي المتر وبعمق حوالي المتر ونصف المتر وارتفاع الماء فيها حوالي ٧٠ سم، الأزرق: أخبار مكة، ج ١، ص ٣٢٩، الطبري: الأراج المسكي، ص ٨٣، باشا: محمد صادق: الرحلات الحجازية، الطبعة الأولى، بيروت سنة ١٩٩٩م، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(١١٨) شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٦-٥٥٧، الكردي: التاريخ القويم، ج ٦، ص ٦٢-٦٣.

(١١٩) حفرت تلك العين زبيدة ابنة الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وزوجة الخليفة هارون الرشيد سنة ١٧٤هـ / ٧٩٠م، وكان يطلق على تلك العين عين المشاش بالحجاز نسبة للمكان الذي نبعت منه ومهدت الطريق لها في كل سهل ومنخفض ومرتف، وذكر البعض أن تلك العين تنبع من وادي نعمان بحنين (الشرايع الآن) على بعد نحو ٣٦ كيلو متراً من المسجد الحرام، وتمر بعرفات وتقطع وادي عرنة ثم تنحدر إلى منى ثم إلى مكة وكانت سقياً أهل مكة قرابة ١٢٠٠ سنة، وظل الحكماء يولون عنايتهم

الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٧٤٨ - ٧٥٤ هـ / ١٣٤٧ - ١٣٥٣ م) بإصلاحها سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م، وعاد ماؤها يجري ليروي الحجيج<sup>(١٢٠)</sup>، كما جهز السلطان حسن أيضا لعمارة عين جوبان<sup>(١٢١)</sup>، من مال الحرمين الشريفين بمبلغ مائتي ألف درهم، وشرع في عمارتها فأصلحها وجرى ماؤها<sup>(١٢٢)</sup>.

وفي مكة المكرمة قام السلطان المؤيد شيخ الحمودي بإصلاح عين حنين (عين بازان) في سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م، وندب قائده علاء الدين للقيام بعملية العمارة والتنظيف والإصلاح وأنفق عليها ألفي دينار ذهباً، فكثر الماء في مكة المكرمة ورخص سعرها، وحصل به النفع<sup>(١٢٣)</sup>، كما أمر السلطان الأشرف قايتباي بإصلاح وإعمار عين حنين سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م وأجرى ماؤها إلى مكة المكرمة، كما تم إصلاحها سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م بمعرفة ناظر العمارة ابن الزمن<sup>(١٢٤)</sup>، وأمر بتجديد عين عرفات<sup>(١٢٥)</sup>، وأصلح البرك بها وملأها بالماء، كما أصلح عين خليص وبركتها وأجرأها وجرت عينها وامتألت البركة بالماء وبنى قبتها فعم الماء الناس<sup>(١٢٦)</sup>، كما تعهد السلطان المملوكي قنصوه الغوري بالعناية بعيون المياه بمكة المكرمة وعهد بذلك إلى خاير بك ناظر العمارة و مجموعة من وجوه الأعيان والقضاة والتجار بمكة المكرمة وجدة، فأصلح عين حنين بعدما ندب لها عمال البناء والعمال والمهندسين والمنقلين والمنورين<sup>(١٢٧)</sup>، وجرت العين وملأت بركة المعلا وبركة ماجن بدرب اليمن أسفل مكة المكرمة بالماء<sup>(١٢٨)</sup>.

**٢- الآبار:** أما من حيث الآبار فقد عني سلاطين المماليك بتعمير وتجديد الآبار لتوفير المياه لأهل مكة المكرمة وللحجيج أثناء موسم الحج، ومن أهم تلك الآبار بئر زمزم التي تعد من أشرف الآبار في الدنيا على الإطلاق، وهي أول بئر نبعت لنبي الله إسماعيل عليه السلام<sup>(١٢٩)</sup>، فقد خربت مظلة هذه البئر فنقضت وأعيد بنائها في سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م<sup>(١٣٠)</sup>، وفي سنة ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م وفي عهد السلطان المملوكي الملك المؤيد شيخ (٨١٥ - ٨٢٤ هـ / ١٤١٢ - ١٤٢١ م) تم إجراء إصلاحات ببئر زمزم، فوسعت أحواض زمزم وأتقن عملها<sup>(١٣١)</sup>.

بالإصلاح حتي انقطعت في الفترة الأخيرة حتى أمر الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود (خادم الحرمين الشريفين الآن) عندما كان ولياً للعهد بعمل الدراسات اللازمة لتجديدها والاستفادة منها، وقد أنفقت عليها زيدة ١,٧٠٠,٠٠٠ دينار، الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٣٢٩، الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٤، الكردي: التاريخ القويم، ج ٦، ص ٥٩، عبد الغني: محمد إلياس: تاريخ مكة المكرمة، ص ١٤٠.

(١٢٠) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٤١، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٣١.

(١٢١) تنسب إلى الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراق وشرع في عمارتها سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م، الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٤.

(١٢٢) الجزيري: درر الفوائد، ج ١، ص ٦٤٥.

(١٢٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٥، الكردي: التاريخ القويم، ج ٦، ص ٦٣.

(١٢٤) الطبري: الأرج المسكي في التاريخ المكي، ص ٨٣ - ٨٤، الكردي: التاريخ القويم، ج ٦، ص ٦٤ - ٦٥.

(١٢٥) قيل إن عين عرفات كانت قد انقطعت عن الجريان منذ ١٥٠ سنة وكان الحجاج يقاسون في يوم عرفة قلة الماء ما لا يصبر عليه، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٧٣.

(١٢٦) النهروالي: الأعلام، ص ٢٤٢، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٧٣، الكردي: التاريخ القويم، ج ٦، ص ٦٤.

(١٢٧) الكردي: التاريخ القويم، ج ٦، ص ٦٥ - ٦٦، محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، ص ٣٢٧.

(١٢٨) محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، ص ٣٢٧.

(١٢٩) الكردي: التاريخ القويم، ج ٦، ص ٨.

(١٣٠) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٣٥.

(١٣١) الطبري: الأرج المسكي في التاريخ المكي، ص ٩١.

ومن الآبار التي أنشأها سلاطين المماليك في مكة المكرمة تلك البئر التي عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م من أجل رباط العباس، ثم جددتها السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٦م) عند الميضاة التي أقامها في هذا المكان<sup>(١٣٢)</sup>، كما عمر الأمير شيخون الناصري<sup>(١٣٣)</sup> في سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م بئر النجار على يسار الذهاب إلى منى<sup>(١٣٤)</sup>، وفي سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م حفر الزيني عبد الباسط ناظر العمارة بتكليف من السلطان الأشرف برسباي بئراً في طريق العمرة بمكة المكرمة على الشنية يسار الذهاب إلى العمرة بقرب موضع يقال له فخ<sup>(١٣٥)</sup>، وكذلك البئر المنسوبة إلى السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٦م) وهي من وقفه عند باب السلام بالحرم المكي الشريف<sup>(١٣٦)</sup>.

٣- البرك: أما البرك التي كانت تمد مكة المكرمة بالمياه فقد أصلح سلاطين المماليك والأمراء من الأتراك العديد منها ورمموها لتوفير المياه، وكانت مياه تلك البرك تستخدم للأغراض المختلفة حيث كان يتم الوضوء منها<sup>(١٣٧)</sup>، ومن السلاطين الذين اعتنوا بتلك البرك الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٧٤٨-٧٥٤هـ/ ١٣٤٧-١٣٥٣م)<sup>(١٣٨)</sup> الذي أصلح بركتان متلاصقتان كانتا موجودتان عند باب المعلاة أثناء ولايته الأولى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، وتم تجديد عمارتها مرة أخرى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، كما عمرت بعض البرك في عرفات أثناء حكم السلطان المملوكي الملك الأشرف شعبان بن حسن بن محمد (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٦م)<sup>(١٣٩)</sup>.

وفي سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م أرسل السلطان قنصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠-١٥١٦م) أميره خاير بك<sup>(١٤٠)</sup> المعمار<sup>(١٤١)</sup> للقيام ببعض الإصلاحات في المسجد الحرام، فقام ببناء بركة ماء، كما بنى على يمين الداخل من باب إبراهيم

(١٣٢) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٤٤.

(١٣٣) هو الأمير شيخون بن عبد الله العمري الناصري مدبر المملكة بالديار المصرية للسلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وهو أول من سمي بالأمير الكبير، توفي سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م، الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٤٨.

(١٣٤) الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٠٦، وبئر النجار في الطريق إلى منى عند مسجد البيعة، الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٢٧.

(١٣٥) يعرف هذا الموضع اليوم بالشهداء، الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٣٠، حاشية رقم (٥).

(١٣٦) الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٠٦.

(١٣٧) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٧١.

(١٣٨) تولى السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ولايته الأولى في الفترة (٧٤٨-٧٥٤هـ/ ١٣٤٧-١٣٥٣م) والثانية في الفترة (٧٥٥-٧٦٤هـ/ ١٣٥٤-١٣٦١م).

(١٣٩) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٤١-٥٤٣.

(١٤٠) هو الأمير خاير بك العلاني أحد أمراء المماليك الأتراك الطبلخانات وباش المماليك السلطانية وناظر الحسبة المشرفة بمكة المكرمة وشاد العمائر السلطانية، الجزيري: عبد القادر بن محمد الأنصاري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ج ١، الطبعة الأولى، الرياض- المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٠٠، بإسلامه: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ٢٢٠.

(١٤١) كانت وظيفة ناظر العمارة من الوظائف الدينية في الحرمين الشريفين، وفي العصر المملوكي كان يتولى تلك الوظيفة أحد أمراء المماليك حيث يرسل السلطان أحد ممالكه بعمارة معينة في أحد الحرمين الشريفين أو خارجها، وتنتهي مهام تلك الوظيفة بانتهاء الأمير من أداء العمل المطلوب ومن تولى تلك الوظيفة الأمير جمال الدين الصالحي بتكليف من السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ليتولى عمارة المسجد النبوي الشريف بعد الحريق الذي أصابه سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، بدرشيني: أحمد هاشم: أثر الأوقاف على الحياة الدينية والاجتماعية في مكة والمدينة في العهد المملوكي، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد (١٣)، ربيع الثاني- جمادي الآخرة سنة ١٤٢٦هـ/ يولية أغسطس سنة ٢٠٠٥م، ص ٥٨، ويذكر البعض أن الأمير سودون الحمدي كان أميراً أو عاملاً ومشيداً للعمائر للسلطان الظاهر سيف الدين جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م) في مكة المكرمة، وكان معه ٥٠ فارساً من الترك المقيمين بها، النهروالي: الأعلام، ص ٢٣٥، بإسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٦٤.

صهريجاً لتخزين الماء في أرض المسجد وبني مثله على اليسار، وقرر فيهما بعض المستحقين، وجعل في الباب اليماني صهريجاً آخر يشتمل على سبيل ماء وصهريج يتجمع فيه ماء المطر من سطح المسجد<sup>(١٤٢)</sup>.

وفي المدينة المنورة عنى سلاطين المماليك بتوفير المياه لأهلها وزوار الحرم النبوي الشريف، منها العناية بالعين الزرقاء، وهي عين قديمة أصلها بقباء ومغيضها عند مساجد الفتح بالمدينة المنورة<sup>(١٤٣)</sup>، ففي سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م أصابها الخراب والتغيير وكان اعتماد أهل المدينة المنورة عليها في الشرب، وذلك بسبب سيل كبير أصابها وأصبح ماؤها غير سائغاً ملحاً، وخربت دور عدة بالمدينة المنورة بسبب هذا السيل، فكتب بذلك إلى السلطان المملوكي المنصور قلاوون (٦٧٩-٦٨٩هـ / ١٢٨٠-١٢٩٠م) من أجل إصلاحها<sup>(١٤٤)</sup>، كما عمرها السلطان الظاهر أبو الفتح ططر (٨٢٤هـ / ١٤٢١م) على يد عمر بن محمد المعروف بابن المزلق الذي أرسله السلطان المملوكي ططر بخمسمائة دينار لعمارة هذه العين بعدما خربت<sup>(١٤٥)</sup>.

كما جدد الملك الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٧-١٤٩٦م) عمارة العين الزرقاء بالمدينة المنورة في سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م، وأجرى مائها إلى مدرسته التي بناها هناك، وقام بتلك العمارة ابن الخواجا شمس الدين ابن الزمن المعمار الخاص بالسلطان الأشرف قايتباي<sup>(١٤٦)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على توفير المياه بالمسجد النبوي الشريف أو داخل المدينة المنورة فحسب، بل تعدت عناية سلاطين المماليك الأتراك ذلك العمل إلى الطرق المؤدية إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث عمر السلطان الظاهر أبو سعيد برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ / ١٣٨٢-١٣٩٨م) بركة كبيرة بوادي سالم في طريق المدينة المنورة لسقي الحجاج وغيرهم<sup>(١٤٧)</sup>، وفي سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م جهز السلطان الأشرف برسباي الفعلة وأهل المعرفة لإصلاح الآبار وأماكن المياه في الطريق المؤدي إلى الجار<sup>(١٤٨)</sup>.

(١٤٢) بإسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٦٨، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٣٤-٣٣٥.

(١٤٣) العين الزرقاء: تعرف ببئر النبي صلى الله عليه وسلم، وبئر أريس نسبة إلى رجل من يهود المدينة يقال له أريس وهو الفلاح في لغة أهل الشام، وقيل بل كانت لامرأة يهودية كانت بالمدينة اشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه بخمسة وثلاثين ألف درهم وأوقفها للمسلمين، ثم عرفت بعين الأزرق أو العين الزرقاء، وكان مروان بن الحكم قد أجرى هذه العين لمعاوية بن أبي سفيان عندما كان والياً له على المدينة المنورة، وكان مروان بن الحكم أزرق العينين فلقب بالأزرق، وهي العين أو البئر التي سقط فيه خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من عثمان بن عفان رضي الله عنه أيام خلافته، وماؤها عذب وهي غربي مسجد بقاء في حديقة نخل تسمى الجعفرية، وطولها حوالي ١٤ ذراعاً وشراً منها ذراعان ونصف في الماء وعرضها خمسة أذرع، وطول قفها (أي حافتها) التي جلس عليها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن توضع دلى بها ساقيه وكذلك فعل صاحبيه أبي بكر وعمر وجلس في مواجهتهم عثمان بن عفان رضي الله عنهم، وعلى توالي الدهور والأيام تعرضت للإهمال والتعمير وإيصال بعض الآبار إليها في أيام الدولة العثمانية لزيادة مواردها المائية، أظر: ابن النجار: تاريخ المدينة المنورة، ص ١١٧-١١٩، ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٤٤-١٤٥، محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، ص ٣٩١، الخياري: أحمد ياسين أحمد الخياري: التحفة الشماء في تاريخ العين الزرقاء، الطبعة الأولى، جدة- المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ١٥-١٦، الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، الطبعة السادسة، المدينة المنورة سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ٢٤٥-٢٤٨، ٢٩٢-٢٩٥.

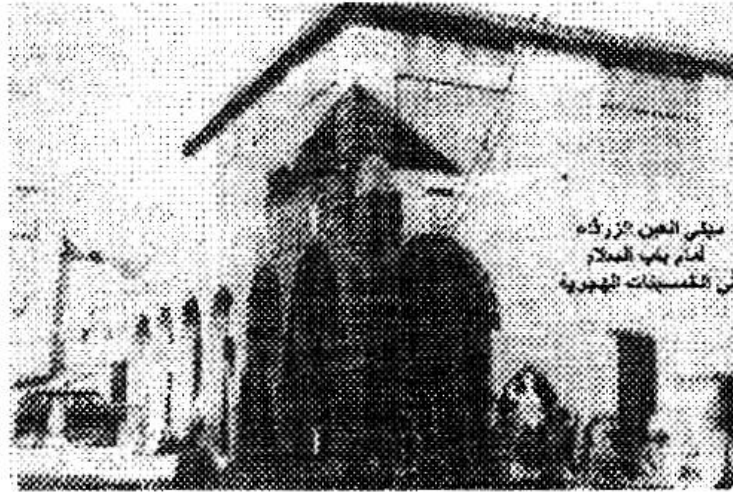
(١٤٤) المقرئزي: السلوك، ج ١، قسم ٣، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٥٩م، ص ٧٣٧.

(١٤٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٥٩.

(١٤٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٩٧، وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٤١، ٩٤٢.

(١٤٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٥٣٣.

(١٤٨) العسقلاني: أحمد بن علي: إنشاء الغمر بأبناء العمر، ج ٨، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٢٧، والجار مدينة على ساحل البحر الأحمر من جهة المدينة المنورة، كانت مرفأً للمدينة المنورة للسفن القادمة من الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند، عاش بها مجموعة من المحدثين وكان أهلها معظمهم من التجار، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٠٧-١٠٩.



## العين الزرقاء في الخمسينيات من القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي

**رابعاً- الحمامات:** دعا الإسلام إلى الطهارة والنظافة، فالمسلم بطبيعة الحال لا يدخل الصلاة إلا بالطهارة والنظافة، طهارة ونظافة الجسد والثوب والمكان، وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في هذا الأمر كثيرة ومتعددة توضح سبل الطهارة والنظافة للوقاية من الأمراض، وتدعو إلى العناية والثقافة الصحية، وقد احتلت الحمامات العامة مكانة مهمة في كافة مدن الأقاليم والأمصار الإسلامية في الشرق، وكان بعضها يلحق بالمساجد والمدارس والخانات والأرطة والبيمارستانات والزوايا<sup>(١٤٩)</sup> والخنقاوات<sup>(١٥٠)</sup>، وغيرها من المنشآت الإسلامية، وكثيراً ما كان السلاطين والحكام في أنحاء الدولة الإسلامية يأمرهم بإنشاء حمامات يستحم فيها الغرباء والوافدون على البلاد متى احتاجوا إلى ذلك<sup>(١٥١)</sup>، ولقد عرفت مكة المكرمة والمدينة المنورة بعض هذه الحمامات التي قام سلاطين المماليك بعمارها أو تجديدها، من تلك الحمامات حمام صغير أنشأه الأشرف قايتباي في مكان

(١٤٩) الزوايا: الزاوية من البيت ركنه، وقد لعبت الزوايا التي أنشئت في أنحاء العالم الإسلامي دوراً مهماً في تطور الحركة العلمية، فإلى جانب كونها دوراً للعبادة كان يرتب فيها دروس للطلبة ومكاناً لتلقي العلم والتفقه في الدين، وتلحق بها المكتبات المزودة بالكتب الجليلة، وتوقف عليها الأوقاف، كما كانت مأوى للفقراء، وكان يرتب لتلك الزوايا شيخ للإشراف عليها ويرتب فيها الطعام للصادر والوارد، المقرئ: السلوك، ج ١، قسم، ص ١٨٢، حاشية رقم (٤)، المقرئ: الخطط المقرئ، ج ٢، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ص ٤٣٢-٤٣٣، الرافعي: أحمد بن محمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٧٧م، ص ٢٦٠، الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد: القاموس المحيط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٨٦م، ص ١٦٦٧، محمد كمال الدين: الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٧٢-٧٣.

(١٥٠) الخانقاه كلمة تعني المسكن أو البيت أنشأت لإيواء الدراويش ورجال الصوفية والفقراء، ويرتب لقاطنيها ما يكفيهم من الطعام والحلوى والملبس والصابون، وكان بعضها يتخذ كاستراحة للعلماء حيث كانوا يلقون فيها أحماهم ويلقون فيها بعض الدروس، وتؤدي فيها الصلوات، وكانت تحتوي على مكتبات تضم كتباً متنوعة، وقيل إنَّها أشبه ما تكون بالمدرسة فتلقى فيها دروس الفقه والحديث والتفسير والقراءات وبعض العلوم كالنصوف والطب وغيره، ويتولى أمرها شيخ أو أحد كبار العلماء، ليشرف على نظام العمل فيها وعلى الأوقاف الموقوفة عليها، وعرفت في العهد العثماني باسم النكايا، السمعاني: أبو سعد عبد الكريم: الأنساب، الطبعة الأولى، تقديم: عبد الله عمر البارودي، بيروت سنة ١٩٨٨م، ج ٢، ص ١٨١، ٣١٣، ٥٢٤، ج ٤، ص ٥٨، ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢، بيروت سنة ١٩٨٠م، ص ٤٤١، دولت عبد الله: معاهد تزكية النفوس في مصر، القاهرة سنة ١٩٨٠م، ص ٢٧٦-٢٩٠، عبد الغني محمو: التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة سنة ١٩٨٤م، ص ٢٣٩-٢٤٤.

(١٥١) ابن جبير: ابن جبير: أبي الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م): رحلة ابن جبير، ضبطه ووضع فهرسه: محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة سنة ٢٠٠٠م، ص ٥٣.

يعرف بالسوق الكبير<sup>(١٥٢)</sup>، كما أنشأ حماماً آخر بالمدينة المنورة سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م بالقرب من باب السلام، وقيل إن هذا الحمام كان بمثابة داراً تضم عدة حمامات<sup>(١٥٣)</sup>.

**خامساً: المياضي (أو المطاهر) بالحرمين الشريفين:** عنى سلاطين المماليك بإنشاء العديد من المياضي (أو المطاهر) في الحرمين الشريفين، فلم تقتصر إصلاحات ومنشآت سلاطين المماليك الأتراك على توفير المياه لأهل الحرمين الشريفين أو حجاج بيت الله فحسب، بل تعدي ذلك إلى إنشاء عدد من المياضي (المطاهر) للوضوء.

**١- المياضي (أو المطاهر) في مكة المكرمة:** تم إنشاء عدد من المياضي سواء حول المسجد الحرام أو على مقربة منه، فقد أنشأ الأمير طيغا الطويل وهو من الأمراء الأتراك المقدمين بالديار المصرية ميضأة بمكة المكرمة عند باب العمرة ووقف عليها أوقافاً<sup>(١٥٤)</sup> للصرف عليها، كما أنشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون<sup>(١٥٥)</sup> عند باب بني شيبه ميضأة اشترى موضعها من شريف مكة المكرمة عطيفة ورميثة ابني أبي غني<sup>(١٥٦)</sup>، بخمسة وعشرين ألف درهم<sup>(١٥٧)</sup> وأقام مكاناً للوضوء بالقرب من باب علي فيما بين الصفا والمروة بالحرم المكي سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م وجعل لها بابين أحدهما على باب السوق والآخر بسوق العطارين<sup>(١٥٨)</sup>، وكذلك الميضأة التي أنشأها نائب السلطنة بمصر- عند باب الحزورة<sup>(١٥٩)</sup> في سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م<sup>(١٦٠)</sup>، وكذلك الميضأة التي عمرها الأمير صرغتمش الناصري<sup>(١٦١)</sup> سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م، وكانت تلك الميضأة تقع ما بين البيمارستان ورباط أم الخليفة<sup>(١٦٢)</sup>، كما ابنتي الأمير زين الدين بركة خشدش<sup>(١٦٣)</sup> الملك الظاهر برقوق بسوق العطارين عند باب بني شيبه ميضأة فرغ من عمارتها سنة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م<sup>(١٦٤)</sup>، وفي عهد السلطان الأشرف قايتباي تم هدم المتوضأ الذي أنشأه الملك

(١٥٢) الطبري: الأرجح المسكي في التاريخ المكي، ص ٩١.

(١٥٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٧، وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٦٠، السمهودي: وفاء الوفا، ج ٢، ص ١٨٢.

(١٥٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٦٠-٥٦١، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٤٧-١٤٨.

(١٥٥) هو سلطان المماليك في مصر الناصر محمد بن قلاوون تولى السلطنة ثلاث مرات أولها كان في سنة ٦٩٣-٦٩٤هـ / ١٢٩٣-١٢٩٤م، والثانية ٦٩٨-٧٠٨هـ / ١٢٩٨-١٣٠٨م، والثالثة سنة ٧٠٩-٧٤١هـ / ١٣٠٩-١٣٤٠م، ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن أيدير العلائي: الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين، ج ٢، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الكتاب (٤٤)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، بدون تاريخ، ص ١٧١، لينبول: ستانلي: سيرة القاهرة، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة سنة ١٩٥٠م، ص ٢٥٥ وما بعدها.

(١٥٦) عطيفة بن محمد بن حسين توفي سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م، ورميثة هو أسد الدين أبو عرادة بن غني ولي لمكة مع أخيه حميضة وتوفي سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٩.

(١٥٧) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٩، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، ص ١٤٨.

(١٥٨) ابن بطوطة: محمد بن محمد: رحلة بن بطوطة، ص ١٦٢، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٣١.

(١٥٩) يقال له باب عزورة أو باب الحزورة بالجانب الغربي من المسجد الحرام، والحزورة اسم سوق بمكة المكرمة في الجاهلية كان بهذا المكان ثم أزيل عند توسعة المسجد الحرام، ثم عرف بعد ذلك بباب البقالية ثم بباب بني حكيم بن حزام، وبباب الحزامية، وبباب بني الزبير بن العوام، ويطلق عليه الآن باب الوداع، الأزرق: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢١٥، الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٨٣، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ١٢٥-١٢٦.

(١٦٠) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٩.

(١٦١) الأمير صرغتمش الناصري هو أحد كبار الأمراء في دولة الملك السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، قتل سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م، الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٩.

(١٦٢) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٩-٥٦٠.

(١٦٣) خشدش: الخشداشية في العصر المملوكي تعني الزميل أو الذين نشأوا عند أستاذ واحد، الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٦٠.

(١٦٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٦٠.

الناصر محمد بن قلاوون وبني مكانه رباطاً للفقراء، وأقام بجواره متوضاً صغيراً وجعل له باب يشرع على سوق الليل (حي القشاشية الآن)، كما أنشأ مطبخاً تطبخ فيه الدشيشة لتوزع على الفقراء، وسبيلاً على يمين الداخل إلى خان البزار على المسعى يقال له العلقمية<sup>(١٦٥)</sup>، كما أقام ميسضة التي أقامها بخطط المسعى بجانب رأس زقاق الحاجر بمكة المكرمة<sup>(١٦٦)</sup>، والميسضة التي أنشأها السلطان قنصوه الغوري سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م عند باب إبراهيم على يمين الخارج من المسجد الحرام<sup>(١٦٧)</sup>.

**٢- المياضيء (أو المطاهر) في المدينة المنورة:** قام سلاطين المماليك بإنشاء العديد من المياضيء (أو المطاهر) حول المسجد النبوي الشريف للوضوء، ففي سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م أمر السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٨٩م) ببناء ميسضة هائلة بالجانب الغربي من المسجد النبوي الشريف عند باب السلام<sup>(١٦٨)</sup>، وجاءت تلك الميسضة في غاية الاتساع والاتساع<sup>(١٦٩)</sup>، وقد أشرف على عمارتها الأمير الصالح علاء الدين الأقرم<sup>(١٧٠)</sup>، وقد بناها متسعة الفناء تستدير بها البيوت وأجرى إليها الماء، وأراد أن يبني مثلها في مكة المكرمة فلم يتم له ذلك فبناها ابنه الملك الناصر محمد بن قلاوون بين الصفا والمروة<sup>(١٧١)</sup>، كما أقام الأشرف قايتباي ببناء ميسضة في رباطه الذي أنشأه بالمدينة المنورة، وكانت تلك الميسضة تستخدم للوضوء في هذا العصر<sup>(١٧٢)</sup>.

**سادساً: السحابات:** هي بمثابة أوعية أو إناءات تملأ بالمياه لإرواء العطشى في كل مكان ترحل إليه القافلة، ولقد قام العديد من سلاطين المماليك والأمراء الأتراك بتوفير تلك السحابات لترافق ركب الحاج أثناء الذهاب للحج لمكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن بين سلاطين الأتراك الذين عنوا بهذا العمل السلطان الظاهر أبو سعيد برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ / ١٣٨٢-١٣٩٨م) الذي كان يوفر سحابة تسير مع قافلة الحاج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة سنوياً لإرواء الحجاج، وكان يصرف للحجاج كل ما يلزمهم من الماء والزاد ذهاباً وإياباً<sup>(١٧٣)</sup>، وسحابة السلطان قنصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ / ١٥٠٠-١٥١٦م) التي كانت تعد لسقيا الفقراء بطريق الحاج، وكانت تلك السحابة تتحرك مع تحرك الحجاج في مكة المكرمة ومنطقة المشاعر المقدسة (منى وعرفات والمزدلفة) والمدينة المنورة، وتستمر السحابة كل سنة، ويتم الصرف عليها من الربيع الموقوف عليها، وكذلك السلطان المملوكي

(١٦٥) النهروالي: الأعلام، ص ٢٥٣، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٣١.

(١٦٦) الطبري: الأرح المسكي في التاريخ المكي، ص ٩٥-٩٦.

(١٦٧) النهروالي: الأعلام، ص ٢٥٩، الطبري: الأرح المسكي، ص ٩٥-٩٦، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٤٨.

(١٦٨) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٣٩، السخاوي: محمد بن عبد الرحمن: التحفة اللطيفة، ج ٣، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٤١٨.

(١٦٩) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٧، السمهودي: نور الدين علي بن أحمد: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ٢٢٥، ٢٣٧، ٢٤٧.

(١٧٠) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٣٩، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٤٩.

(١٧١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٣٩، ١٦٢.

(١٧٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٧، بدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ١٤٩.

(١٧٣) المقرئ: السلوك في معرفة دول الملوك، القاهرة ج ٣، ق ٢، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب، القاهرة سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م، ص ٩٤٤، ابن تغري بردي: أبو المحسن جمال الدين يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١٢، دار الكتب، القاهرة سنة ١٩٥٦م، ص ١٠٨-١٠٩.

طومان باي (٩٢٢ - ٩٢٣ هـ / ١٥١٦ - ١٥١٧ م) الذي كان يوفر سحابة كانت ترافق ركب الحاج سنوياً إلى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة لصرف ما يلزمهم من حاجيات أثناء ذهابهم وإيابهم<sup>(١٧٤)</sup>.

وكان للزيني عبد الباسط ناظر الجيش في عهد السلطان المملوكي الأشرف برسباي (٨٢٥ - ٨٤٢ هـ / ١٤٢٢ - ١٤٣٧ م) سحابة تسير في كل سنة من دمشق والقاهرة إلى الحرمين ذهاباً وإياباً برسم الفقراء والمنقطعين، وكان ييسط لهم ما يستظلون به وهم في الطريق من مصر إلى مكة المكرمة، وكان يتم الطبخ لهم في الأماكن والمنازل التي كانوا ينزلون بها في الطريق، ويذبح لهم الغنم ويسقون الماء العذب سواء في حلهم أو ترحالهم<sup>(١٧٥)</sup>.

**سابعاً: البيمارستانات بالحرمين الشريفين:** تعد البيمارستانات (المستشفيات) من أهم المؤسسات الخيرية والاجتماعية في تاريخ الإسلام، ومن أهم ما امتازت به الحضارة الإسلامية هو إنشاء البيمارستانات، لتقديم كافة الخدمات الطبية والعلاجية لكافة أفراد الشعب في مختلف المجتمعات الإسلامية<sup>(١٧٦)</sup>، خاصة وأن إنشاء تلك البيمارستانات قد واكب تطور التخطيط العمراني للمدينة الإسلامية<sup>(١٧٧)</sup>، وقد أقبل الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء وأهل اليسار من الرجال والنساء على تشييدها في أنحاء المدن الإسلامية، أملاً في اكتساب نعمة من الله والثواب في الآخرة، وتكون صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية وتخليداً لذكراهم<sup>(١٧٨)</sup>، وقد حرص سلاطين الدولة الإسلامية بإنشاء تلك المؤسسات الخيرية<sup>(١٧٩)</sup> لعلاج المرضى من جميع أفراد الشعب حتى الغرباء منهم، وكانوا يولكون الأطباء ليتفقدوا أحوالهم، وتحت أيديهم خدام يأمرؤهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء<sup>(١٨٠)</sup>، وقد عرفت بلاد الحرمين الشريفين البيمارستانات في فترة مبكرة، فتعد خيمة (رفيدة الأسلمية) بالمسجد النبوي الشريف أول مشفى ميداني في المدينة المنورة في تاريخ الإسلام.

**١ - البيمارستانات في مكة المكرمة:** وجد في مكة المكرمة بيمارستاناً كان يقع بالجانب الشمالي من المسجد الحرام قرب باب الزيارة<sup>(١٨١)</sup>، عمره ووقفه الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م ولكنه خرب ودثر، وفي سنة ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسن (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦ م) بتجديده ووقف عليه أوقافاً يصرف ريعها سنوياً

(١٧٤) النهروالي: الأعلام، ج ٢، ٢٤٢، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣٣٠.

(١٧٥) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٣٩، حاشية رقم (٢)، النهروالي: الأعلام، ص ٢٣٣.

(١٧٦) سيد رضوان: العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية، دار المريخ، الرياض - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٦٧ - ٦٨.

(١٧٧) عثمان: محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، الكويت، سنة ١٩٨١ م، ص ٢٤٩.

(١٧٨) أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ١٩٨١ م، ص ٣ - ٤.

(١٧٩) بيمارستان كلمة فارسية تتكون من مقطعين يمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب، وستان بمعنى مكان أو بيت أو دار، وعلى ذلك يكون المعنى دار المرضى، أو مجمع المرضى، أو بيت المرضى، ثم استبدل اللفظ (مارستان) بكلمة (مستشفى) للدلالة على المكان الذي يجتمع فيه للصحة، بينما أصبحت كلمة مارستان تستعمل للدلالة على بيت ذوي الأمراض العقلية، ابن منظور: جمال الدين أبي الفضل محمد: لسان العرب، ج ٢، دار صادر، بيروت سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م، ص ٢١٧، القريري: الخطط، ج ٢، طبعة مكتبة الثقافة الدينية ن القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤٠٥، أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص ٤، عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٢٨، سيد رضوان: العلوم والفنون عند العرب، ص ٦٨، كامل حمود: تاريخ العلوم عند العرب، دار الفكر اللبناني، بيروت، سنة ١٩٩٩ م، ص ٤٣.

(١٨٠) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ٥٣، سعود عبد الغني: الأربعة في المدينة المنورة، مقال بتاريخ ١٢ / ٧ / ٢٠٠٨ م، السدحان: عبد الله بن ناصر: الأوقاف وأثرها في

دعم الأعمال الخيرية في المجتمع، مقال بموقع صيد الفوائد \_ [www.Saaaid.net](http://www.Saaaid.net)

(١٨١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٣٨، النهروالي: الأعلام، ص ٢٢٤.



على هذا البيمارستان، وقد بلغ قيمة ما يصرف عليه سنوياً ثمانية وعشرين ألفاً وثمانمائة درهماً، وفي سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م عمره الشريف مكة المكرمة آنذاك (الشريف حسن بن عجلان)، وفي سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م قام خاير بك بترميمه في عهد السلطان المملوكي قنصوه الغوري (٩٠٦ - ٩٢٢هـ / ١٥٠٠ - ١٥١٦م)<sup>(١٨٢)</sup>، وفي هذا البيمارستان كان يتم علاج المرضى من الفقراء والمساكين والمرضى والمنقطعين بأوون وينتفعون بالإقامة والسكنى فيه لا يزججهم أحد ولا يخرجهم، بل يستمرون فيه حتى يتم لهم الشفاء فيخرجون باختيارهم<sup>(١٨٣)</sup>.

**٢- البيمارستانات في المدينة المنورة:** وجد بالمدينة المنورة بيمارستاناً يواجه المسجد النبوي الشريف من الجهة الشمالية الشرقية موضع دار أبي المغيث بن المغيرة، أنشأه الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م<sup>(١٨٤)</sup>، وقد عمره السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٧م) سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٢م، حيث أرسل مجموعة من البنائين لعمارة المسجد النبوي الشريف، وبعد تجديده وعمارته تم تحديد البيمارستان، وكان قد أرسل معهم طبيباً من الديار المصرية<sup>(١٨٥)</sup>، ومعه الأدوية والمعاجين والأكحال والأشربة<sup>(١٨٦)</sup>.

وكان العلاج مكفولاً لجميع من يدخل البيمارستان أو يأتي إليه من سائر الناس سواء من أهالي الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) أو من غيرهم<sup>(١٨٧)</sup>، للغني أو الفقير، وبالبيمارستان مكان يقيم فيه المرضى من الفقراء وذوو الحاجة والعاجزون والمنقطعون من الرجال والنساء لمداواتهم، ويستمر فيه إقامتهم حتى شفائهم، ويصرف لهم ما يلزمهم من الدواء، حتى يتم لهم الشفاء فيخرجون باختيارهم<sup>(١٨٨)</sup>.

وقيل إنه كان هناك بعض البيمارستانات المحمولة التي كانت تصاحب قوافل الحجيج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لاسيما مع ركب الحاج المصري، وكانت تلك البيمارستانات مجهزة، ومعدة لمعالجة المرضى ومزودة بأدوات وأدوية وأطعمة وأشربة ومسجلات ومعاجين وأكحال وأدهان وسفوف وعطورات يصرف منها لكل محتاج في وقته، وكل مريض بما يناسبه، كما كانت تلك البيمارستانات تزود بالملابس والأطباء والصيادلة، لخدمة ركب الحجيج، ولم يقتصر - هذا البيمارستان المحمول على علاج

(١٨٢) بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، ص ١٤٤.

(١٨٣) النهروالي: الأعلام، ص ٢٢٤.

(١٨٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٣٧.

(١٨٥) هذا الطبيب يدعى محيي الدين بن أحمد بن أبي الحسين بن تمام، اليوناني: قطب الدين: ذيل مرآة الزمان، ج ٢، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، الهند، سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م، ص ٣٢٥.

(١٨٦) ابن شداد: عز الدين محمد بن علي: تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، نشر فرانز شتاير، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٠٠، الكتي: محمد بن شاعر: فوات الوفيات والذيل عليها، ج ١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٤٣، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٤٤.

(١٨٧) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن: تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة، سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م، ص ٤٦٠، الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ١٢٣، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٤٥.

(١٨٨) النهروالي: الأعلام، ص ٢٢٤، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣١٣.

الحجاج فحسب بل كان يقوم بعلاج أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة، وغيرهم من طوائف المسلمين المتواجدين أثناء موسم الحج<sup>(١٨٩)</sup>.

وكان للبيمارستانات تنظيمات دقيقة تتمثل في وجود العديد من الوظائف الطبية التي تنظم سير العمل بالبيمارستان مثل حكيم البيمارستان ويطلق على كل طبيب من الأطباء الجراحين والكحالين، ومهمتهم مباشرة المرضى، وتقرير ما يلزمهم من أدوية أو شراب أو غذاء، والإشراف على علاجهم ومداداتهم، والشاهدان ومهمتهما الحضور يوميا للبيمارستان لصرف ما يحتاج إليه المرضى، وأمين الحواصل (أو أمين البيمارستان)<sup>(١٩٠)</sup>، ومهمته توزيع الطعام والشراب على المرضى يوميا، وبواب البيمارستان ومهمته تنظيم دخول الناس إلى البيمارستان ومنع الخارجين من الاختفاء به، وسقاء البيمارستان ومهمته سقي الماء العذب لمرضى البيمارستان، وكذلك الفراشون والفراشات ومهمتهم الرعاية لمرضى البيمارستان والقيام بمصالحهم من شراب وأكل وغسيل ملابسههم والمحافظة على نظافتهم وملازمتهم، وناظر البيمارستان وهي أهم وظيفة إدارية وتأمينية في البيمارستان إذ يوكل إليه الإشراف على أحوال المرضى، وتوفير كل ما يلزم البيمارستان من أدوية وسكر وأسطال وقدر و دقيق وغيرها<sup>(١٩١)</sup>.

وقد أوقفت بعض الأوقاف للصرف منها على البيمارستانات في مكة المكرمة والمدينة المنورة، والإنفاق على من يقوم على مصالح المرضى من الأطباء، والكحالين، والجراحين، والطباخين، وصانعي المعاجين والأدوية والأكحال والمسهلات، والمباشرين، والفراشين، والأمناء وغيرهم، ومن بين سلاطين الممالك الذين عنوا بذلك السلطان الأشرف شعبان بن حسين (٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٢-١٣٧٦م)، والسلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤٢هـ / ١٤٢٢-١٤٣٧م) اللذين قاما بتوفير الرعاية الصحية الكاملة لمجتمع مكة المكرمة والمدينة المنورة دون تفرقة بين المرضى سواء أكانوا من السكان المقيمين، أو من المجاورين، أو الوافدين من الحجاج والزائرين وغيرهم من سائر الحجاج<sup>(١٩٢)</sup>.

**ثامناً: الدور والقصور والخلاوي:** قام بعض سلاطين الممالك الأتراك بإنشاء المؤسسات الخيرية والاجتماعية كالدور والمنازل التي كان ينزل فيها أمراء الحج، منها الدار التي بناها الأشرف قايتباي بجوار باب مسجد الخيف بمكة وكان ينزل بها أمراء الحج، كما ابنتي بيتين من ضمن ما أقامه من عمائر خيرية بمكة المكرمة أحدهما من ناحية باب السلام والآخر من جهة باب الحريريين<sup>(١٩٣)</sup>، وبني ٧٢ خلوة<sup>(١٩٤)</sup>، جوار مدرسته التي أقامها بمكة المكرمة، وألحق بها العديد من الصبيان وكان يوفر لهم ما يكفيهم من حوائجهم طول العام من المدرسين والقمح والمال<sup>(١٩٥)</sup>، وكانت تلك الخلاوي بمثابة مساكن يؤدي إليها طلاب العلم لاسيما وأن غالبيتهم كانوا من الفقراء والمنقطعين للعبادة والدراسة والمجاورة لبيت الله الحرام، وقد جاء تصميم المدارس في تلك الفترة بأنها كانت تتكون من طابقين كان الأرضي منها لقاعات الدرس، والطابق الثاني لسكنى الطلاب حسب ما ينص عليه الوقف، وربما

(١٨٩) علي السيد علي: الرعاية الصحية في مكة المكرمة في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)، المجلد (٣٨)، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، سنة ١٩٩١-١٩٩٥م، ص ١٤٧، غادة القبلان: العناية الصحية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، بحث بالسجل العلمي للقاء العلمي العاشر للجمعية التاريخية السعودية، ج ٢، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، الرياض- السعودية، سنة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ٦٨-٦٩.

(١٩٠) يذكر السخاوي (صواب دابة الطوائف) الذي كان يعمل أميناً للبيمارستان في المدينة المنورة، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٦١.

(١٩١) بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣١٣.

(١٩٢) بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣١٤-٣١٥.

(١٩٣) النهروالي: الأعلام، ص ٢٤٤، الطبري: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٧٢.

(١٩٤) عرفت الخلاوي في بعض بلدان العالم الإسلامي وفي إفريقية كانت تعرف بالكتائب، وفي بعضها كانت مساكن للطلاب أو الفقراء.

(١٩٥) النهروالي: الأعلام، ص ٢٤٣، الطبري: تاريخ مكة، ص ٢٧٧.

كانت تلك الغرف على مستويات متباينة من حيث التصميم والأثاث حيث خصص بعضها لنزول الأعيان والواردين للحج وغالبا ما كان ينزلها الأسر والسلاطين<sup>(١٩٦)</sup>، على مدار السنة.

وفي سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م أرسل السلطان قنصوه الغوري (٩٠٦ - ٩٢٢هـ / ١٥٠١ - ١٥١٦م) أميره خاير بك المعمار للقيام ببعض الإصلاحات في المسجد الحرام، فبنى قصرا مرتفعا<sup>(١٩٧)</sup> عند باب إبراهيم بمكة المكرمة بجميع المرافق، وجعل حول القصر من خارج الباب مسكنين لطيفين، وأوقف القصر والمسكن على أوجه الخير<sup>(١٩٨)</sup>.

### المبحث الثالث: الخدمات المدنية والعامة للسلاطين والأمراء الأتراك بال الحرمين الشريفين

من المعروف أن دولة المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) في مصر والشام قد سيطرت على بلاد الحرمين الشريفين، ومن خلال السيطرة على الأماكن المقدسة استمد المماليك الأتراك زعامتهم الروحية على العالم الإسلامي، ولم ينس هؤلاء المماليك الأتراك ما للحرمين الشريفين من منزلة في نفوسهم ونفوس المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، فأوقفوا على الحرمين الشريفين الأوقاف الكثيرة، ونعموا على الحرمين الشريفين بالخدمة، فكان لهؤلاء الأتراك نصيب أن ينهضوا بالحرمين الشريفين وبأهلهم وتوفير كافة ما يلزمهم من الخدمات من وسائل الخدمة بالحرمين، وتوفير ما يلزمهم من المال والطعام والشراب. **أولاً: الخدمة العامة للحرمين الشريفين عصر سلاطين المماليك:**

اهتم سلاطين الدولة المملوكية بتقديم الخدمة العامة للحرمين الشريفين، ومن تلك الخدمات إيقاف ما يسمى بالأغوات<sup>(١٩٩)</sup> لخدمة الحرمين الشريفين، ويقول عبد الرحمن الأنصاري عن الأغوات هم "خدام سيد السادات عليه أفضل الصلاة والتسليمات"<sup>(٢٠٠)</sup>، أو خدام المسجد النبوي والقائمون على شئونه<sup>(٢٠١)</sup>، وقيل هم خدام الكعبة المشرفة<sup>(٢٠٢)</sup>، أو هم فئة من الخصييان المبعوثين من أقطار مختلفة بقصد المشاركة في خدمة المسجد النبوي الشريف وحراسة الحجرة النبوية الشريفة<sup>(٢٠٣)</sup>، وقيل في شأنهم الكثير<sup>(٢٠٤)</sup>، وكانوا يعدون بالمئات ولم يبق منهم إلا عدد قليل الآن بالحرمين الشريفين<sup>(٢٠٥)</sup>.

(١٩٦) الدهاس: المدارس، ص ٣٧.

(١٩٧) ذكر النهروالي أنه لا يصح أن يجعل هذا القصر وقفا لأنه كان في المسجد، ولم يقدر العلماء أن ينكروا ذلك الفعل في أيام سلطنته ودولته لعدم إصغائه إلى كلام أهل الشرع والدين، الأعلام، ص ٢٥٩.

(١٩٨) باسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٦٨، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

(١٩٩) الأغوات كلمة تركية مفردا أغا وتعني شيخ، وأغوات الحرمين الشريفين هم رجال فقدوا ذكورتهم، ونذروا أنفسهم لخدمة الحرمين الشريفين والزوار والمعتمرين، وقد عبر العياشي عن سبب اختيار الأغوات للخدمة في الحرم النبوي الشريف بقوله: "واختاروا وقف الخصي دون غيره لكونه أظهر وأنزه وأكثر فراغا من الأشغال، إذ لا أهل له ولا ولد مشغول بهم، وهو أبعد من دنس الجنابة ومعاشرة النساء"، العياشي: أبو سالم عبد الله محمد بن أبي بكر: مقتطفات من رحلة العياشي (ماء الموائد)، الطبعة الأولى، ترتيب: حمد الجاسر، من منشورات دار الرفاعي للنشر والتوزيع والطباعة، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٧٧، المدينة المنورة في رحلة العياشي، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد أمخزون، دار الأرقم، الكويت سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٢٣٠.

(٢٠٠) عبد الرحمن الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد العروس المطوي، المكتبة العتيقة، تونس سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ٥٣.

(٢٠١) عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج ٢، الطبعة الأولى، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٣٨٤.

(٢٠٢) الكردي: محمد طاهر بن عبد القادر بن محمد: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٤، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة سنة ١٤٠٠هـ، ص ٢٣٧، باسلامه: حسين عبد الله: تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدنتها، المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٤٣٤.

(٢٠٣) الشهري: محمد هزاع: المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني (٩٢٣ - ١٣٤٤هـ)، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م، ص ٣٧٨.

(٢٠٤) ويقول عنهم سعد المطرني هم أبناء أسر أثرت خدمة بيت الله الحرام وخدمة حرم نبيه صلى الله عليه وسلم على نفسها، مقدمة أبنائها لله تخدمه في بيته الحرام ومسجد نبيه صلى الله عليه وسلم.. أبناء لم تعد متغيرات الزمان تجود بمثلها، لا يمكن أن تخطأهم العين لمن رآهم، أو لم يرههم أحد، إنهم الأغوات خدم الله الذين لا ينتظرون ثواباً

ويرى المستشرق الهولندي هروخرونيه<sup>(٢٠٦)</sup> أن الأغوات قد وجدوا في المجتمع المكي حيث كانوا يتولون عملية حراسة المسجد الحرام، وقد انقرض هؤلاء القوم بسبب الوفاة، أو لعدم ورود شباب جدد، ولم يشاهد في المسجد الحرام سوى نفر قليل جدا من هؤلاء الخصيان<sup>(٢٠٧)</sup>، أو الأغوات<sup>(٢٠٨)</sup>.

وهناك رأي آخر يقول بأن سلاطين الأتراك كانوا يرسلون هؤلاء الخدام (الأغوات) للعمل بخدمة الحرم المكي الشريف وخدمة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(٢٠٩)</sup>، والحرم النبوي الشريف، فقرروا الخدم ورتبوا الأوقاف، وقد ورد أن أول شيخ للخدام للحرم النبوي الشريف في العصر المملوكي هو جمال الدين محسن الصالحى الذي ورد على السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م فأنعم عليه<sup>(٢١٠)</sup>، وضرب له خيمة بشقة<sup>(٢١١)</sup> على باب دهليز خيمته تميزا لها عن غيرها من الخيام<sup>(٢١٢)</sup>، وناله زيادة على مائتي ألف درهم نقرة<sup>(٢١٣)</sup>، وكان إذا قدم أحد من الخدام على سلاطين المماليك نال حظا من التقدير والتكريم،

دنيوياً، فقد أبصروا الحياة ونصب أعينهم حياة أخرى حسبهم فقط أن يتشبعوا بروحانية المكان.. وأن يعملوا لما نذروا له ليلقوا الجزاء.. إحسانا من الله سبحانه الذي نذروا أنفسهم، أغوات الحرمين... حائم تنالاً بوقار، مقال بالعربية نت، الثلاثاء ١١ جمادى الأولى سنة ١٤٢٤هـ / ٢٩ يونيو سنة ٢٠٠٣م.

<sup>(٢٠٥)</sup> لم يبق منهم سوى ١١ أغا بالحرم المكي، ١٠ أغوات بالحرم النبوي، ومن أغوات الحرم النبوي الشريف الموجودين حتى سنة ٢٠٠٧م. سعيد عمر آدم أغا شيخ الأغوات، وعبد أغا بن علي إدريس نقيب الأغوات، وموري أغا بن محمد أحمد، وعبد الله أغا بن آدم علي، أحمد أغا بن مسيبو، وإمام حسين بن علي أغا، وأحمد أغا بن علي كروكي، وحامد أحمد غدي أغا، وحبيب محمد حمود أغا، وبديا أغا قعس، وهم الآن جميعاً حاصلون على الجنسية السعودية ويمتعون كمواطنين سعوديين وتابعين مباشرة للرئاسة العامة لشؤون الحرم المكي والحرم النبوي، وللمزيد انظر: مالكي: سليمان عبد الغني، أحمد عبد الرحيم نصر، سعد الدين أونا: الأغوات (دراسة لأغوات المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف دراسة تاريخية حضارية)، قسم الدراسات الحضارية، مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، بدون تاريخ، قمر: محمود أحمد محمد: صفحات من تاريخ الأغوات ودورهم الحضاري في المدينة المنورة، السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر المنعقد بالمدينة المنورة (١٢ - ١٤ / ٥ / ١٤٢٨هـ / ٢٩ - ٣١ / ٥ / ٢٠٠٧م، ج٢، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

<sup>(٢٠٦)</sup> هو المستشرق الهولندي الدكتور كرسيتيان سنوك هروخرونيه، ولد في هولندا في ٨ فبراير سنة ١٨٥٧م، وفي سنة ١٨٧٨م كرس حياته لدراسة اللغات والآداب السامية، وكان موضوع رسالته في الدكتوراه سنة ١٨٨٠م (الحج عند المسلمين وأهميته في الدين الإسلامي)، ثم أخذ ينتقل للعمل في بعض الجامعات، وقد تمكن هذا المستشرق من الدخول إلى مكة المكرمة في سنة ١٨٨٥م بعد ما أقام مدة في جدة، ثم أظهر الإسلام احتيالا وظل يمثل الدور على المسلمين في مكة المكرمة ثم في إندونيسيا طوال حياته، ثم تسمى باسم عبد الغفار وصار يختلف إلى مجالس العلماء حتى وطد علاقاته بالعديد من علماء مكة المكرمة وجزر إندونيسيا ممن كانوا يعيشون في مكة المكرمة، ولقد ألف العديد من الكتب الإسلامية منها (الحج إلى مكة) وقد ألفه بالهولندية للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة ليدن بهولندا، وكتب العديد من المقالات والأبحاث في بعض المجالات والدوريات العلمية مثل: الإسلام وتاريخه، والشرعية الإسلامية، وبلاد العرب وتركيا، والإسلام في المهاجر الهولندية، ولقد أسهم سنوك في جعل الدراسات الإسلامية تستقل عن اللغة والتاريخ، وكان من طليعة الرواد في الدراسات في الفقه الإسلامي وعلم الأصول والحديث والتفسير في أوروبا، وقد توفي يوم ٤ من شهر يوليو سنة ١٩٣٦م "١٣٥٥هـ" عن عمر يناهز ٨١ سنة، سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ج٢، الطبعة الأولى، تعريب: محمد بن محمود السرياني، معراج بن نواب مرزا، مكة المكرمة سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص٧ - ٢١، وزارة الحج والعمرة، العدد (١٢)، السنة (١٣٧١هـ)، ص٣٤ - ٤٠، عبد اللطيف بن دهيش: دراسة موجزة لبعض مؤلفات هروخروني عن تاريخ الجزيرة العربية، مجلة العرب، العدد ١١، ١٢، السنة ١٣٩٧هـ، ص٩٤٢ - ٩٤٨. <sup>(٢٠٧)</sup> الخصي الذي قطع ذكره، إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج١، القاهرة سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ص٢٣٩، ويرى بعض المؤرخين أن الأغوات أنفسهم كانوا يفضلون كلمة أغا على كلمة خصي لأن اللقب المعتاد لهم هو كلمة أغا،

Burckhardt. Jhon Lwis: Travels in Arabia, London, 1968, p. 344.

<sup>(٢٠٨)</sup> سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ص٨٠ - ٨١.

<sup>(٢٠٩)</sup> توفيق نصر الله: الأغوات لم يبق منهم غير عشرة.. أصغرهم في الستين، مجلة الرابطة، العدد ٤٧٩، السنة ٤٢، شهر ربيع الثاني سنة ١٤٢٧هـ / شهر مايو سنة ٢٠٠٦م، ص٦٣، بتصرف عن جريدة عكاظ السعودية.

<sup>(٢١٠)</sup> العبدري: أحمد بن علي: بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج، تحقيق: إبراهيم محمد الزيد، الطائف - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص٣٤، المقريري: السلوك، ج١، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة سنة ١٩٥٧م، ص٥٨٠.

<sup>(٢١١)</sup> الشقة قطعة من قماش أو شعر الماعز توضع على الخيمة تمييزاً لها عن غيرها من الخيام.

<sup>(٢١٢)</sup> القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٥، ص٢٠٩.

<sup>(٢١٣)</sup> المقريري: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥٨٠.

فيذكر ابن إياس ذلك فيقول: "إذا قدم على الملوك يقومون له، ويجلسونه إلى جانبهم، ويتبركون به، لقرب عهده من تلك الأماكن الشريفة"<sup>(٢١٤)</sup>، ويضيف الرهوني أن من أراد أن التبرك بهم جلس معهم<sup>(٢١٥)</sup>.

ويذكر الرحالة ابن بطوطة الذي وصل إلى مكة المكرمة في حجته الأولى سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م، في رحلته خدمة المسجد النبوي الشريف ولم يذكر خدمة المسجد الحرام، فقال عن خدم المسجد النبوي الشريف: "وخدام هذا المسجد الشريف وسدنته فتيان من الأحابيش وسواهم، وهم على هيئات حسان وصور نظاف وملابس ظراف، وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام وهو في هيئة الأمراء الكبار، ولهم المرتبات بديار مصر والشام يؤتى إليهم بما كل سنة"<sup>(٢١٦)</sup>.

أما المؤرخ السخاوي فقد ذكر أن عدد خدام المسجد النبوي الشريف على أيامه كانوا نحو الأربعين فيقول: "وهم الآن أربعون فأزيد ما بين حبشي ورومي وتكروري وهندي.. وشيخهم لم يزل فيهم إلا في هذه الأزمان المتأخرة.." <sup>(٢١٧)</sup>، وهؤلاء الأغوات كانت مهمتهم بالحرمين الشريفين فتح أبواب الحرمين الشريفين (الحرم المكي والحرم النبوي)، والقيام بعمليات الكس والتنظيف، والحراسة لاسيما للحجرة النبوية الشريفة، وإيقاظ النائمين بالمسجد وقت الصلاة، وإشعال القناديل، وتركيب الكسوة، وعمليات غسل وتخليق (تعطير) الكعبة المشرفة والحجرة النبوية الشريفة، والفصل بين الرجال والنساء، وتأديب من أساء الأدب، بالإضافة إلى القيام ببعض الأعمال الأخرى<sup>(٢١٨)</sup>.

وفي العصر المملوكي (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) برز مجموعة من هؤلاء الأغوات الذين عملوا شيوخا للحرم النبوي الشريف أو شيوخا للأغوات منهم: عزيز الدولة الملقب بالعزيزي المتوفي سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م وكان كثير البر والإحسان، ويميل إلى الأشراف ويحسن إليهم ويقضي حوائجهم<sup>(٢١٩)</sup>، وشبل الدولة كافور الصفي الحريري المتوفي سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م، الذي كان له آثار حسنة في الحرم النبوي الشريف<sup>(٢٢٠)</sup>، وسعد الدين الزاهدي الذي عزل عن المشيخة سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م<sup>(٢٢١)</sup>، ثم ناصر الدين نصر بن عطاء الله الشمسي المتوفي سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م، الذي كان من أحسن الناس صورة وأكملهم، حفظ القرآن الكريم، كثير القيام والصيام<sup>(٢٢٢)</sup>، وعز الدين دينار الحبشي الشهابي الذي مات فجأة في سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م<sup>(٢٢٣)</sup>،

(٢١٤) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ق ١، ص ٢٤١.

(٢١٥) للمزيد انظر: الرهوني: أحمد: الرحلة الملكية ١٣٥٥ - ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، مطبعة الأحرار، تطوان - المغرب سنة ١٩٤٤م.

(٢١٦) رحلة ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٤١.

(٢١٧) التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٤.

(٢١٨) للمزيد انظر: مالكي وآخرون: الأغوات، صفحات متفرقة، قمر: صفحات من تاريخ الأغوات، ص ٩٤ وما بعدها،

Burton. Rechar: personal Narrative of a pilagimage to Almadina and Mecaa, vol. 1. new York, 1964, p. 372.

(٢١٩) ابن فرحون: أبي محمد عبد الله بن محمد: تاريخ المدينة المنورة (المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، الطبعة الأولى، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار المدينة

للنشر والتوزيع، المدينة المنورة سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ٤١ - ٤٢، عبد الرحمن الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ٥٧.

(٢٢٠) عبد الرحمن الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ٥٧.

(٢٢١) عبد الرحمن الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ٥٧.

(٢٢٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ١٨٩، عارف أحمد عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة، دار كتن للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا سنة ١٤١٧هـ /

١٩٩٦م، ص ٢٧٠.

(٢٢٣) يذكر عبد الرحمن الأنصاري أنه توفي سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٥٧، في حين يرى بعض المؤرخين أنه توفي سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م بعدما

كان قد تولى مشيخة الحرم في الفترة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م حتى ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م، ثم تولى للمرة الثانية سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م وتوفي فيها، السخاوي: التحفة اللطيفة،

ج ٣، ص ١٨٩، عارف عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

وشرف الدين مختص الديري المتوفي سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م<sup>(٢٢٤)</sup>، وشرف الدين الخازنداري الذي عزل بعد سنة حوالي سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م وقيل إنه كان فحلا صادقا<sup>(٢٢٥)</sup>، وافتخار الدين ياقوت بن عبد الله الرسولي الخازنداري الذي تولى في الفترة ٧٥١-٧٥٨هـ / ١٣٥٠-١٣٥٦م، وهو من المشايخ الرؤساء، لم يقيم أحد بخدمة المنصب قبله، تأدب مع شيخه عز الدين دينار لما عزل عن المشيخة<sup>(٢٢٦)</sup>، كان من أكمل الناس عقلا، وأعظمهم حرمة، مع العبادة والتدين والورع<sup>(٢٢٧)</sup>، ومن بين الأغوات الأتراك الذين برزوا في مجال خدمة الحرم النبوي الشريف أينال الفقيه شيخ الاسحاقي الظاهري جقمق الذي تولى مشيخة الحرم النبوي الشريف في الفترة ٧٨٠-٧٨٦هـ / ١٣٧٨-١٣٨٤م، وكان حسن الخلق، خيرا، ذا دين، له اشتغال بالعلم، حج أكثر من مرة، وتوفي بالمدينة المنورة في شهر الحرم سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م ودفن بالبقيع<sup>(٢٢٨)</sup>، وشاهين الجمالي الذي تولى على أيام السلطان قايتباي، ثم كان الأمير سنقر وفي أيامه زالت دولة المماليك الجراكسة سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م<sup>(٢٢٩)</sup>، وليساق طومان باي (٩٢٣هـ / ١٥١٦-١٥١٧م) آخر سلاطين دولة المماليك إلى ساحة الإعدام ويشنق على باب زويلة، الذي حاول عبثا أن يقيم جسدا مات قبل أن يسقط بأوان<sup>(٢٣٠)</sup>.

### ثانياً: الصدقات والجرايات لأهل الحرمين الشريفين:

لم يغفل السلاطين الأتراك والأمراء بل والقواد وغيرهم في العصر المملوكي عن إرسال الصدقات والجرايات لأهل الحرمين الشريفين، فقد أرسل السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٥٠-١٢٥٧م) الصدقات والزيت والشموع والطيب إلى الحرمين الشريفين<sup>(٢٣١)</sup>، وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون يجمع صدقاته وصدقات أمراءه ويرسلها إلى قاضي مكة آنذاك الشيخ نجم الدين محمد بن الإمام محيي الدين الطبري ليوزعها على أهل مكة المكرمة<sup>(٢٣٢)</sup>، وفي الوقت نفسه كان يبعث بمرتبات القاضي والخطيب والأئمة والمؤذنين والفراشين وسائر من يقوم على شئون الحرمين الشريفين<sup>(٢٣٣)</sup>، وكان ينفق على أهالي الحرمين الشريفين أموالا كثيرة، ووزع الحبوب والغلال عليهم حتى انخفض سعر الحبوب انخفاضاً كبيراً<sup>(٢٣٤)</sup>.

ولم ييخل سلاطين المماليك والأمراء من الأتراك عن تقديم الصدقات والجرايات لأهل الحرمين الشريفين، وقد تسابق العديد منهم في القيام بهذا الأمر، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، مثل السلطان الناصر فرج بن برقوق، والسلطان الأشرف

(٢٢٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١-٤٢، ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين الفضل بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٢، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م، ص ١٠٣، عارف عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٧٣.

(٢٢٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٤٥، ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٢، ص ٢٠٨، عبد الرحمن الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ٥٧-٥٨، عارف عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٧٣.

(٢٢٦) عبد الرحمن الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ٥٨، عارف عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٨١.

(٢٢٧) ابن فرحون: تاريخ المدينة المنورة، ص ٥٠-٥١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢٠٢.

(٢٢٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٥٧، عبد الرحمن الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ٥٥.

(٢٢٩) عبد الرحمن الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ٥٨.

(٢٣٠) للمزيد عن نهاية دولة الجراكسة وسقوطها انظر: قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك (التاريخ السياسي والاجتماعي)، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ن القاهرة سنة ١٩٩٨م، ص ١٤٠-١٥٥.

(٢٣١) العبادي: أحمد مختار: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٢م، ص ١٩٨.

(٢٣٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٩.

(٢٣٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٩.

(٢٣٤) بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠١.

برسباي، والسلطان قنصوه الغوري وغيرهم، والسلطان الأشرف قايتباي الذي أوقف القرى الكثيرة بمصر - تحمل غلاتها إلى جيران رسول الله فيفرق عليهم لكل شخص ما يكفيه من الحب بطول السنة، وكانت حصة كل نفر سبعة أراذب في العام، سواء في ذلك الصغير والكبير والحر والعبد<sup>(٢٣٥)</sup>، كما منح أهل المدينة المنورة أثناء حجته في سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م ستين ألف دينار لشراء عدة أماكن وربوع في باب النصر - والخشابين والدجاجين<sup>(٢٣٦)</sup> لصنع الدشيشة<sup>(٢٣٧)</sup>، وكذلك السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧هـ / ١٤٣٨ - ١٤٥٣م) الذي قام بإرسال الحبوب إلى أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما أوقفاً لذلك بعض الأوقاف في مصر<sup>(٢٣٨)</sup>.

### ثالثاً: الإصلاحات المملوكية للمرافق العامة:

قام سلاطين المماليك والأمراء بالعناية بالمرافق العامة في بلاد الحرمين الشريفين، ومن هؤلاء السلاطين السلطان الناصر محمد بن قلاوون حينما حجته الثانية سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م قام بإصلاح طريق الحج من مصر - إلى بلاد الحجاز، فمهد ما كان عند عقبة أيلة من صخور ووسع طريقها حتى أمكن السير فيها بدون مشقة<sup>(٢٣٩)</sup>، وكان يجهز الجمال لحمل من تخلف عن قافلة الحج لجهد أو مشقة<sup>(٢٤٠)</sup>.

وبخصوص منطقة المشاعر المقدسة بمكة المكرمة فقد امتدت إليها يد الإصلاح في العصر - المملوكي، ففي سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م قام الأمير سودون الحمدي قائد الجيش التركي ومدير الحرم المكي<sup>(٢٤١)</sup> في عهد السلطان جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧هـ / ١٤٣٨ - ١٤٥٣م) بتعمير الكثير من المواضع المهمة في منى والمزدلفة وعرفات، وأزال أشجار الشوك والصخور الكبيرة من طريق عرفات لأن للصخور كانوا يحتفون وراءها<sup>(٢٤٢)</sup>.

(٢٣٥) النهروالي: الأعلام، ص ٢٤٧.

(٢٣٦) الخشابون والدجاجون ربوع موجودة بالقاهرة وعلى رأسها وكالة في باب النصر ومجموعة دكاكين وقفها السلطان قايتباي على الفقراء والمساكين والمجاورين بالمدينة المنورة يستفاد من ربع تلك الربوع (أو الأماكن) والوكالة والدكاكين لعمل الدشيشة وتوزيع الخبز والزيت يومياً في المدينة المنورة، بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠٣، حاشية رقم (٢).

(٢٣٧) الطبري: الأرج المسكي في التاريخ المكي، ص ٩٥ - ٩٦.

(٢٣٨) الطبري: الأرج المسكي في التاريخ المكي، ص ٩٥ - ٩٦.

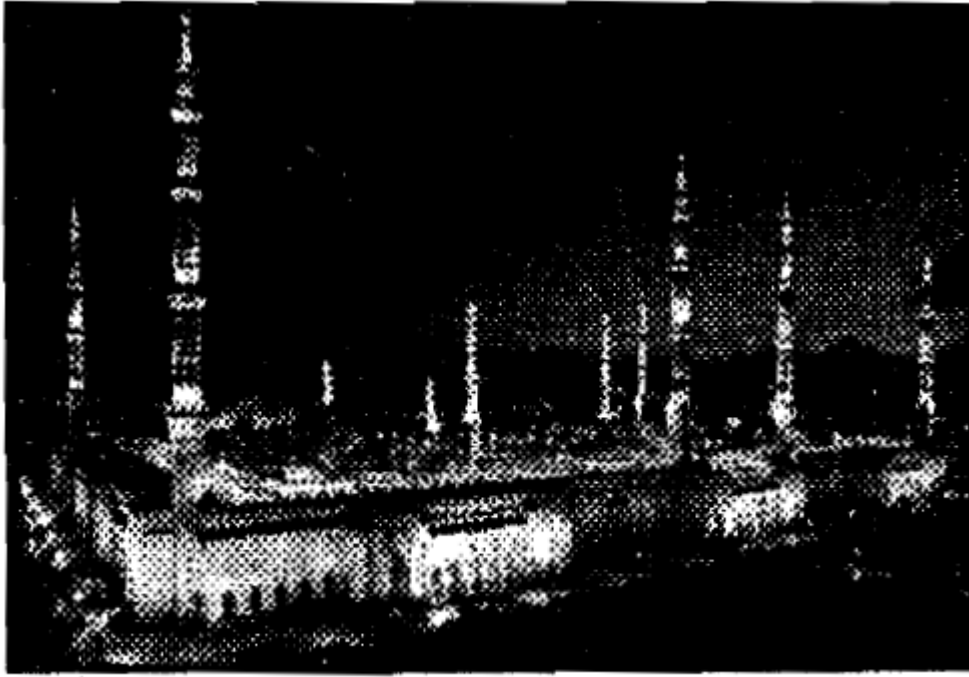
(٢٣٩) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٤، ص ٦٥٦.

(٢٤٠) بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠١.

(٢٤١) قيل إن الأمير سودون الحمدي كان أميراً أو عاملاً ومشيداً للعمائر للسلطان الظاهر سيف الدين جقمق في مكة المكرمة، وكان معه ٥٠ فارساً من الترك المقيمين بها،

النهرولي: الأعلام، ص ٢٣٥، بإسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٦٤.

(٢٤٢) النهروالي: الأعلام، ص ٢٣٦، السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٣١.



صورة حديثة للمحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة

## المصادر والمراجع العلمية

أولاً: المصادر العلمية:

القرآن الكريم

ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م):

— اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢، دار صادر بيروت، بيروت سنة ١٩٨٠م.

ابن إياس: أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م):

— بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، قسم ٢، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

ج ٢، ج ٣، بولاق، القاهرة سنة ١٣١١هـ.

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م):

— رحلة بن بطوطة، الطبعة الثالثة، شرح: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م):

— الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج ١، تحقيق: محمد فهم شلتوت، الكتاب (٢١)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،

بدون تاريخ.

— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١١ - ج ١٢، دار الكتب، القاهرة سنة ١٩٥٦م.

ابن جبير: أبي الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م):

— رحلة ابن جبير، ضبطه ووضع فهارسه: محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة سنة ٢٠٠٠م.



- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م):
- الإصابة في الصحابة، ج ١، القاهرة سنة ١٣٢٣هـ.
  - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٢، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م الدرر الكامنة في أعيان المائة، ج ٢.
  - إبناء الغمر بأبناء العمر، ج ٨، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن أيدير العلائي (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م):
- الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين، ج ٢، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الكتاب (٤٤)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، بدون تاريخ.
- ابن زبالة: محمد بن الحسن (ت ١٩٩هـ / ٨١٤م):
- أخبار المدينة، الطبعة الأولى، تحقيق: صلاح عبد العزيز زين سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ابن زنبيل: أحمد الرمال (ت ٩٦٠هـ / ١٥٥٢م):
- واقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم العثماني، تحقيق: عبد المنعم عامر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٦٢م.
- ابن شداد: عز الدين محمد بن علي:
- تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، نشر فرانز شتاير، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ابن فرحون: أبي محمد عبد الله بن محمد (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م):
- تاريخ المدينة المنورة (المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، الطبعة الأولى، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار المدينة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ابن فهد: جابر الله:
- نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري، ج ١، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة سنة ٢٠٠٠م.
- ابن فهد: نجم الدين عمر بن فهد (٨٨٥هـ / ١٤٨٠م):
- إتحاف الوري بأخبار أم القرى، ج ٤، الطبعة الأولى، تحقيق: كريم علي باز، جامعة أم القرى، مكة المكرمة سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ابن ماكولا: الحافظ أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ / ١٠٨١م):
- الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمؤتلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج ٤، ج ٦، الطبعة الثانية، تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أبا دكن - الهند سنة ١٩٦٢م - ١٩٦٧م.
- ابن النجار: أبي عبد الله محمد بن محمود البغدادي (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م):

- تاريخ المدينة المنورة (المسمى الدرة الثمينة في أخبار المدينة)، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ابن هشام: عبد الملك المعافري (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م):
- السيرة النبوية، ج ١، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.
- الأزرقي: أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٤٤هـ / ٨٨٥م):
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ٢، الطبعة العاشرة، تحقيق: رشدي الصادق ملحس، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- البخاري: أبي عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م):
- الجامع الصحيح، ج ١، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية، القاهرة، سنة ١٤٠٠هـ.
- الثعالبي: أبي منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج ٤، الطبعة الأولى، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٨٣م.
- الجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري (من أهل القرن العاشر الهجري):
- درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ج ١، الطبعة الأولى، الرياض - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- الخوارزمي: محمد بن إسحاق (ت ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م):
- إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق، ج ٢، الطبعة الثانية، مكة المكرمة سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- الرافعي: أحمد بن محمد بن علي:
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٧٧م.
- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)
- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ج ٣، مكتبة القدسي، القاهرة سنة ١٣٥٣هـ، ج ٤، ج ١٢، القاهرة سنة ١٣٥٥هـ.
- التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة، ج ١، ج ٣، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ٣، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ج ٣، تحقيق: بشار عواد وعصام الحريستاني وأحمد الحظيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي

- الأنساب، ج ١، ج ٢، الطبعة الأولى، تقديم: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت سنة ١٩٨٨م.
- السمهودي: نور الدين علي بن أحمد (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج ١، ج ٢، الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت- لبنان سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ج ١، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكني، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج ٢، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- السهروردي: شهاب الدين أبو حفص عمر:
- عوارف المعارف، ج ١، تعليق: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة سنة ١٩٧١م.
- الطبري: محمد بن علي بن فضل (ت ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م):
- تاريخ مكة (إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن)، ج ١، تحقيق: محسن محمد حسن سليم، القاهرة سنة ١٩٩٦م.
- الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م):
- البدر الطالع بمن جاء بعد القرن السابع، ج ٢، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة سنة ١٩٤٨م.
- الطبري: علي بن عبد القادر (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م):
- الأراج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، الطبعة الأولى، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، أشرف أحمد الجمال، المكتبة التجارية، مكة المكرمة سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- العاقولي: غياث الدين أبو المكارم محمد بن محمد (ت ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م):
- عرف الطيب من أخبار مكة ومدينة الحبيب، الطبعة الأولى، تحقيق: صلاح الدين بن عباس شكر، المدينة المنورة سنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- العبدري: أحمد بن علي بن أبي بكر (ت ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م):
- بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج، تحقيق: إبراهيم محمد الزيد، الطائف- المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١٠١هـ / ١٦٨٩م):
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والمتوالي، ج ٤، المطبعة السلفية، القاهرة سنة ١٣٨٠هـ.
- العياشي: أبو سالم عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م):
- مقتطفات من رحلة العياشي (ماء الموائد)، الطبعة الأولى، ترتيب: حمد الجاسر، من منشورات دار الرفاعي للنشر والتوزيع والطباعة، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- المدينة المنورة في رحلة العياشي، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد أمخزون، دار الأرقم، الكويت سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- الفاسي: تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد علي القرشي (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م):
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج ١، الطبعة الأولى، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
  - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج ٣، الطبعة الثانية، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
  - الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: أديب محمد الغزاوي، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت، بيروت سنة ٢٠٠٠م.
- الفاكهي: محمد بن العباس المكي (٢٧٩هـ / ٨٩٢م):
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج ٢، تحقيق: عبد الله دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م):
- القاموس المحيط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٨٦م.
- القلقشندي: شهاب الدين أبي العباس (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م):
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٤، ج ٥، القاهرة سنة ١٣٣١هـ / ١٩٣١م، وطبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م، وطبعة القاهرة سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- الكتبي: أبو عبد الله محمد بن شاکر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م):
- فوات الوفيات والذيل عليها، ج ١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، بدون تاريخ
  - محب الدين الطبري: أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م):
  - القرى لقاصد أم القرى، الطبعة الثالثة، دار الفكر، القاهرة سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- الملطي: عبد الباسط بن شاهين (ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م):
- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق: محمد كمال عز الدين، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- المقريزي: تقي الدين بأبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١-١٤٤٢م)
- الخطط المقريزية، ج ٢، دار صادر بيروت، بيروت، بدون تاريخ، ج ٢، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ.
  - السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، قسم ١، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة سنة ١٩٥٦م، ج ١، قسم ٣، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج ٣، ق ٢، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب، القاهرة سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م.
- النابلسي: عبد الغني بن إسماعيل (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م):

- الحقيقة والحجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم: عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٨٦م.
- النجم: عبد العزيز بن النجم بن فهد:
- بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى، ج ٢، تحقيق: صلاح الدين وآخرون دار القاهرة، مصر سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
- النهر والي: محمد بن أحمد بن محمد (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م):
- الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، مكة المكرمة سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ياقوت: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م):
- معجم البلدان، ج ٢ - ج ٥، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- اليونيني: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م):
- ذيل مرآة الزمان، ج ٢، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، الهند سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.
- ثانياً: المراجع العربية:
- إبراهيم مصطفى وآخرون:
- المعجم الوسيط، ج ١، القاهرة سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- أحمد شلبي: دكتور
- التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، الطبعة الثامنة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- أحمد عيسى بك:
- تاريخ البيمارستانات في الإسلام، الطبعة الثانية، بيروت سنة ١٩٨١م.
- أرشيد: يوسف أبو أرشيد: دكتور
- الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م
- الأنصاري: ناجي بن محمد حسن:
- المسقاية من مظاهر الحياة الاجتماعية في المينة المنورة، الطبعة الأولى، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة سنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- أوليا جلي:
- الرحلة الحجازية (أو سياحتنا)، الطبعة الأولى، دار الأفاق العربية، القاهرة سنة ١٩٩٩م.
- باسلامه: حسين عبد الله:
- تاريخ عمارة المسجد الحرام، الطبعة الرابعة، جدة - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدنتها، المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- باسلوم: مجدي محمد سرور:

- الرماح العوالي في فضل أهل مكة على المتعالي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- بدرشيني: أحمد هاشم أحمد: دكتور
- أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي (دراسة تاريخية وثائقية حضارية، مركز دراسات وبحوث المدينة المنورة، المدينة المنورة سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- بيومي: محمد علي فهمي: دكتور
- دور مصر في الحياة العلمية في بلاد الحجاز إبان العصر العثماني (٩٢٣ - ١٢٢٠هـ / ١٥١٧ - ١٨٠٥م)، دار القاهرة، القاهرة سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- الجابري: خالد محسن:
- الحياة العلمية في الحجاز في العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة سنة ٢٠٠٥م.
- الدقن: السيد:
- السلطان الأشرف طومان باي والمقاومة المصرية للغزو العثماني، الطبعة الثانية، القاهرة سنة ١٩٩٧م.
- الخياري: أحمد ياسين أحمد الخياري:
- التحفة الشفاء في تاريخ العين الزرقاء، الطبعة الأولى، جدة - المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، الطبعة السادسة، المدينة المنورة سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- الدهاس: علي بن جنيدب: دكتور
- المدارس في مكة في العصرين الأيوبي والمملوكي، الطبعة الأولى، دار القاهرة، القاهرة سنة ٢٠٠٦م.
- دولت عبد الله: دكتور
- معاهد تزكية النفوس في مصر، القاهرة سنة ١٩٨٠م.
- رفيع: محمد عمر
- مكة في القرن الرابع عشر الهجري، الطبعة الأولى، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- الرهوني: أحمد:
- الرحلة الملكية ١٣٥٥ - ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، مطبعة الأحرار، تطوان - المغرب سنة ١٩٤٤م.
- الزهراني: ناصر بن مسفر:
- ملحمة مكة المكرمة، الطبعة الأولى، الأمانة العامة لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- سائد بكداش:
- فضل ماء زمزم، دار البشائر الإسلامية، بيروت سنة ١٤٢٠هـ.
- السباعي: أحمد:
- تاريخ مكة، ج ١، الطبعة السابعة، مكة المكرمة سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

- سعید الدیوه جی:
- التریبة التعلیم فی الإسلام، مکتبة التراث العربی، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- سید رضوان: دکتور
- العلوم والفنون عند العرب ودورهم فی الحضارة العالمیة، دار المریخ، الریاض - المملکة العربیة السعودیة سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- شافعی: حسین عبد العزیز:
- الأریطة بمکة المکرمة فی العهد العثماني (دراسة تاریخیة حضاریة)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامی، مکة المکرمة سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- الشهري: محمد هزاع،
- المسجد النبوی الشریف فی العصر العثماني (٩٢٣ - ١٣٤٤هـ)، الطبعة الأولى، دار القاهرة للکتاب، القاهرة سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- عارف أحمد عبد الغنی:
- تاریخ أمراء المدينة المنورة، دار کتان للطباعة والنشر والتوزیع، دمشق، سوريا سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- صبح: محمد أحمد جاد:
- التریبة الإسلامیة دراسة مقارنة، ج ١، مکتبة الکلیات الأزهریة، القاهرة، بدون تاریخ.
- عبد الباسط بدر:
- التاریخ الشامل للمدينة المنورة، ج ٢، الطبعة الأولى، المدينة المنورة - المملکة العربیة السعودیة سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- عبد الباقي: محمود فؤاد:
- اللؤلؤ والمرجان فیما أتفق علیه الشیخان، إمام المحدثین "أبو عبد الله محمد بن إسماعیل البخاری، وأبو الحسین مسلم بن الحجاج بن مسلم النیسابوری" الطبعة الأولى، مکتبة دار السلام، الریاض سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- عبد الرحمن الأنصاري:
- تحفة المحبین والأصحاب فی معرفة ما للمدینین من الأنساب، الطبعة الأولى، تحقیق: محمد العروس المطوی، المکتبة العتیقة، تونس سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- عبد الرحمن عبد التواب:
- قایتبای المحمودی، هیئة المصریة العامة للکتاب، القاهرة سنة ١٩٧٨م.
- عبد الغنی: محمد إلیاس:
- تاریخ مکة المکرمة قديما وحديثا، الطبعة الأولى، مطابع الرشید، المدينة المنورة سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- عبد الغنی محمود: دکتور
- التعلیم فی مصر زمن الأیوبیین والممالیک، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨٤م.

عبد اللطيف إبراهيم:

- وثائق الوقف على الأماكن المقدسة من أبحاث المؤتمر الدولي لتاريخ الجزيرة، الكتاب الأول، ج ٢، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية سنة ١٩٧٩م.

عثمان: محمد عبد الستار:

- المدينة الإسلامية، الكويت سنة ١٩٨١م.

عز الدين فراج:

- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

علوان: عبد الله: دكتور

- تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، الطبعة الثالثة، دار السلام، القاهرة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

راشد القحطاني: راشد بن سعد: دكتور

- أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - السعودية سنة

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

كامل حمود:

- تاريخ العلوم عند العرب، دار الفكر اللبناني، بيروت سنة ١٩٩٩م، ص ٤٣.

كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى:

- البلد الحرام فضائل وأحكام، الطبعة الأولى، دار علم الفوائد، مكة المكرمة سنة ١٤٢٤هـ، ص ٧١ وما بعدها،

الكردي: محمد طاهر:

- التاريخ: القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٤، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة سنة ١٤٠٠هـ، ج ١-

ج ٦، الطبعة الثالثة، مكتبة الأسد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

المباركفوري: الشيخ صفى الرحمن (مع مجموعة من العلماء):

- تاريخ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٣هـ /

٢٠٠٢م.

محمد صادق باشا:

- الرحلات الحجازية، الطبعة الأولى، بدر للنشر والتوزيع، بيروت سنة ١٩٩٩م.

محمد كمال الدين: دكتور

- الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

المدير: عبد الرحمن مديرس: دكتور

- المدينة المنورة في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض - المملكة

العربية السعودية سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.



مغربي: محمد علي:

- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري، ج ٤، الطبعة الأولى، دار البلاد، جدة، المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٤هـ.

### ثالثاً: المراجع المترجمة:

سنوك: ك. هورخرونيه:

- صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ج ٢، الطبعة الأولى، تعريب: محمد بن محمود السرياني، معراج بن نواب مرزا، من منشورات نادي مكة الثقافي والأدبي، مكة المكرمة سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

لينبول: ستانلي:

- سيرة القاهرة، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة سنة ١٩٥٠م.

### رابعاً: المراجع الأجنبية:

Burckhardt. Jhon Lwis:

-Travels in Arabia, London, 1968.

Burton. Rechard:

-personal Narrative of a pilagimage to Almadina and Mecaa, vol. I. new York, 1964.

Gibbe. J. Kramers:

Shorter Encyclopedia of Islam, lieden. 1974. P. 301.

### خامساً: الدوريات العلمية:

بدرشيني: أحمد هاشم: دكتور

- أثر الأوقاف على الحياة الدينية والاجتماعية في مكة والمدينة في العهد المملوكي، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد (١٣)، ربيع الثاني - جمادي الآخرة سنة ١٤٢٦هـ، يونية أغسطس سنة ٢٠٠٥م.

توفيق نصر الله:

- الأغاوات لم يتبق منهم غير عشرة.. أصغرهم في الستين، مجلة الرابطة، العدد ٤٧٩، السنة ٤٢، شهر ربيع الثاني سنة ١٤٢٧هـ / شهر مايو سنة ٢٠٠٦م، بتصرف عن جريدة عكاظ السعودية.

عبد الباسط عبد الرازق بدر: دكتور

- الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، مجلة مركز ودراسات المدينة المنورة، العدد الخامس، ربيع الثاني - جمادي الآخرة سنة ١٤٢٤هـ / يونيو - أغسطس سنة ٢٠٠٣م.

عبد اللطيف بن دهيش:

- دراسة موجزة لبعض مؤلفات هروغروني عن تاريخ الجزيرة العربية، مجلة العرب، العدد ١١، ١٢، السنة ١٣٩٧هـ

علي السيد علي: دكتور

- الرعاية الصحية في مكة المكرمة في العصر المملوكي (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)، المجلد (٣٨)، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، سنة ١٩٩١ - ١٩٩٥م.

غادة القبلان: غادة بنت عبد اللاه بن عبد الرحمن:

- العناية الصحية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، بحث بالسجل العلمي للقاء العلمي العشر للجمعية التاريخية السعودية: ج ٢، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، الرياض - السعودية سنة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

قمر: محمود أحمد محمد: دكتور

- صفحات من تاريخ الأغوات ودورهم الحضاري في المدينة المنورة، السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر المنعقد بالمدينة المنورة (١٢ - ١٤ / ٥ / ١٤٢٨هـ - ٢٩ / ٣١ / ٥ / ٢٠٠٧م، ج ٢، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

مالك: سليمان عبد الغني، أحمد عبد الرحيم نصر، سعد الدين أونال: دكتور

- الأغوات (دراسة لأغوات المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف دراسة تاريخية حضارية)، قسم الدراسات الحضارية، مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، بدون تاريخ.

وزارة الحج:

- مجلة الحج والعمرة، العدد (١٢)، السنة (١٣٧١هـ).

سادساً: المقالات:

- الأريطة: مقال بموقع المدينة المنورة أون لاين ([www.Alamadina55.com](http://www.Alamadina55.com))

البار: أسامة بن فضل: دكتور

- تطور خدمات الحج في عهد خادم الحرمين الشريفين، مقال على الإنترنت. [www.ksu.edu.sa](http://www.ksu.edu.sa)

السدحان: عبد الله بن ناصر:

- الأوقاف وأثرها في دعم الأعمال الخيرية في المجتمع، مقال بموقع صيد الفوائد - [www.Saaid.net](http://www.Saaid.net)

سعد المطرفي:

- أغوات الحرمين... حرائم تتلأأ بوقار، مقال بالعربية نت، الثلاثاء ١١ جمادي الأولى سنة ١٤٢٤هـ / ٢٩ يونيو سنة ٢٠٠٣م.

سعود عبد الغني:

- الأريطة في المدينة المنورة، مقال بتاريخ ١٢ / ٧ / ٢٠٠٨م، [www.AhbabTaiba.com](http://www.AhbabTaiba.com)

- من تاريخ الطب والأطباء في المدينة المنورة، مقال بتاريخ ٢٤ / ٤ / ٢٠٠٩م، [AhbabTaiba.com](http://AhbabTaiba.com)

نبذة مختصرة عن الأريطة في المدينة المنورة، مقال بتاريخ ١٨ رجب سنة ١٤٢٤هـ / ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م  
[www.Rubat.com](http://www.Rubat.com)